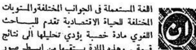
اللغة والحياة الاقتصادية

بقلم الدكتور محمود السعران



ان اللغة المستعملة فى الجوانب المختلفة والمستويات المختلفة للحياة الاقتصادية تقدم للباحث اللغوي مادة خصبة يؤدي تحليلها الى نتائج قيمة . وهذه المادة يستقيها من ابسط صور النشاط الاقتصادي ـ كالبيع والشراء فى ابسط صورهما واضيق حدودهما ـ الى اشدها تعقيدا ، واوسعها نطاقا كاعمال الشركات الكبرى ، واعمال المصارف ، واسواق الاوراق المالية ، والنظريات الاقتصادية . ويلاحظ ان هذه المادة تتفاوت بتفاوت طبقات المتعاملين، وبالوضع الحضاري للمجتمع ؛ وبسوى ذلك من امور ، وهذا التفاوت يتبدى فى كل جانب من جوانب النشاط الاقتصادي .

نطريقة العد وما فى اللغة او اللهجة من اعداد ، لا يزالان عند بعض القبائل فى مرحلة ساذجة ، وهما يبلغان عند اعظم الامم حضارة درجة عالية من التفصيل والتعقيد ، وهذان يختلفان عند اصحاب اللغة الواحدة حسب حظ المتكلم من الثقافة .

ولغة « المساومة » تقدم مادة طريفة لدارس اللغة . ويلاحظ ان المساومة مرتبطة بالبداوة او بالوان من البداوة، وانها تقل او تكاد تتبلور فى ايماءات ، او كلمات شديدة الايجاز ؛ او انواع من الاستغفار فى الامم المتحضرة التي تحيا حياة معقدة . ويلاحظ انه فى معظم الاحوال تكون « المساومة » عنصرا اساسيا من عملية البيع والشراء ، ويكون المشترى والبائع على اهبة للمساومة مقدما ، وان الاطالة فيها تكون احيانا نوعا من الدخول فى علاقات عن طريق الكلام ، ولونا من التسرية عن النفس ومن تزجية الوقت . وان تصنيف لغة المساومة حسب طبقات البائعين، وطبقات المشترين،وحسب امزجة هؤلاء واولئك وطبائعهم، وحسب السلعة موضوع البيع والشراء لامر واجب على الباحث اللغوي ..

و « المزايدة » لها لغتها الخاصة بها ودراستها تظهرنا على وظائف اللغة فريدة. ودراسة حيل البائعين والمشترين والوسطاء ، والوان مغالطتهم وخداعهم وافانين غشهم كما تبدو فى تعبيراتهم اللغوية موضوع له اهميته .

اما « الاعلان » فلغته مجال فسيح للباحث اللغوي . ودراسته فى صوره المختلفة ، من ابسطها واشدها سذاجة كنداءات البائعين الى اكثرها تعقيدا وفنية، تظهر استعمالات للكلام لتحقيق غايات معينة من اهمها جذب الانتباه وحصره فى موضوع بعينه ، والتشويق والترغيب ، للحمل على التملك والاقتناء. ان لغة الاعلان تخاطب فينا غرائزوحواس تختلف باختلاف الموضوع المعلن عنه ، فكلام الاعلان عن ماكول او مشروب يوجه الى حواس غير تلك التي يتجه اليها كلام اعلان عن سيارة او آخر عن دواء ، وهو يثير غريزة غير تلك التي يثيرها هذا او ذاك . ويلاحظ فى لغة الاعلان اختلافها باختلاف الوضع الحضاري للامة : فنداءات البائعين الجائلين فى الجماعات البدوية والقريبة منها يكثر فيها اللجوء الى المجاز والتشبيه والى السجع وغيره من ضروب الترصيع ويبرز فيها على الجملة الاطالة فى المناداة، والتغني والتلذذ بالكلام . اما المجتمعات التي قطعت من المدنية شوطا كبيرا وتعقدت امورها ولم يعد لها من الوقت ما تضيعه فى النداء وفى الاستماع اليه ، وقل فيها دور البائعين الجائلين ، فنداءات هؤلاء فيها تقتصر على اوجز عبارة وادلها .

ثم ان نداءات البائعين تختلف باختلاف حظ الجماعة وحظ البائعين انفسهم من الذكاء والحيوية : فالجماعات المولعة بالكلام وبـ « الفصاحة » والفكاهة نجد فيها امثلة رائعة على المناداة على السلع ، اما تلك المعروفة بالميل الى الاقتصاد فى الكلام ، والى الانطواء على النفس والى التزمت والتوقر ، والى النفور من الصراخ والضجيج فهي قليلة الحظ من الابتكار فى هذا المجال .

ومن النداءات المسموعة فى الاسكندرية ، بالعامية، والتي يتضح فيها اللجوء الى التشبيه والمجاز ، والوصف بالجودة وصفا اشبه بالتغزل ، المناداة على السمك البلطي بـ « يا غريم السلاطة يا بلطي » ، وعلى العنب بـ « يا بيض اليمام يا عنب » ، وعلى البلح « الامهات » الذي يسيل شهدا بـ « يا مين يجيب الاناجر ! » وعلى الفول المدمس بـ « اللوز » و « الزغاليل ! » . ومن الملاحظ ان من البائعين من يتفنن فى خلق نداءات جديدة ، ولا يكتفي بترداد المحفوظ المتوارث منها ، ومن ذلك اني سمعت فى الاسكندرية بائع « شمام » ينادي على سلعته وهو يحملق فى حسناء مارة امامه ويعرض بها بقوله : « من بره جلو ومن جوه شهد » ! ومن النداءات ما يكتفي بذكر اسم السلعة ومن ذلك فى مصر « حليب » ، او بذكرها مسندة الى البلد الذي ينتجه مثل « أسيوطي يا بلح » و « فيومي يا عنب » ، او كذلك مضافا اليه وصفها بالجودة مثل « الكتاكيت الفيومي عال » . وقد لاحظت ان اكثر المنادين على السمك فى مدينة بنغازي بليبيا يكتفون بذكر الاسم مكررا سريعا « حوت حوت ! بوري بوري ! »

وكثير من النداءات على السلع فى مصر يخاطب العاطفة الدينية فيتردد فيها الصلاة على النبي والتغني ببركته مثل « صلاة النبي عليك يا عنب » و « صلاة النبي احسن» و « صلي على النبي » و « صلي على المصطفى » و « صلي على الزين » و « النبي حارسك يا مشمش » . وعبارة « يا سلام عليك يا » مردوفة باسم السلعة طريقة مألوفة من النداء فى مصر .

اما الاعلان المسموع عن طريق الراديو ، فى بعض الامم

فهو لا يسف الى طريقة البائعين الجائلين ، ولكنه فى اغلب الاحيان لا يكون جادا كل الجد ، انما يعتمد اكثر ما يعتمد على العرض الرزين المشوق معا ، وقد يتخذ صورة حوار بين اثنين او اكثر ، وقد تصحبه موسيقى ، وقد يظهر كله او جانب منه فى صورة اغنية او « مونولوج » .

اما تلك الاعلانات المكتوبة على واجهات المحلات ، او المطبوعة فى أوراق خاصة توزع على الجمهور او على أدوات معينة كالتقويمات ، او فى الصحف والمجلات ، وتلك التي تشاهد فى السينما والتليفزيون فهي تشترك فى صفات لما كانت جميعا تعتمد على الكتابة وينفرد كل منها بصفات حسب طبيعته المتميزة . ولغة الاعلان بكل طريقة من هذه يجب ان تدرس اولا على حدة .

ان اللغة المكتوبة تخاطب العين وهي لذلك تعتمد على الخط واللون والرسم والتصوير والزخرفة والضوء ، ويجتمع توجيه الخطاب الى العين والاذن معا فى اعلانات السينما والتليفزيون .

ومن الملاحظ ان الاعلانات المكتوبة على واجهات المحلات تختلف باختلاف الاحياء فى المدينة الواحدة ، وباختلاف مستوى المحل والمترددين عليه . والمتطلع الى واجهات المحلات فى حي سيدنا الحسين بالقاهرة يجد مكتوبا على الكثير منها اعلان متصل بالجو الديني لهذا الحي ومن ذلك « كل كبده وكلاوي زين ، وصلي على سيدنا الحسين » و « كل كبده وكلاوي زين واقرا الفاتحة لسيدنا الحسين » . وهذه العبارات المستعملة فى حي الحسين لا تستعمل في محلات شارع فؤاد وميدان التحرير . فالمحلات « الراقية » تلجأ الى اعلانات فيها شيء من الجد والوقار ، ولكن هذا لا يحول دون استعمال الكلمات والعبارات الجذابة ، والغريبة احيانا ، ومن ذلك تسمية محل بـ « من غير اسم » .

وثمة طبقات من المحلات والهيئات تلتزم الجد في اعلاناتها ، ومن ذلك الصيدليات ، اما لانه لا يجوز لها ان تظهر صفة التنافس واما لسوى ذلك من الاسباب .

والاعلانات فى الصحف والمجلات والسينما والتليفزيون يكون الكلام جزءا منها ولا يكون كل شيء ، انه عنصر من كل متكامل ـ او يجب ان يكون كذلك ـ فالرسم والصور والالوان وتنسيقها ، وتنسيق ذلك مع الكتابة له دلالته .

وللاعلان عن طريق السينما والتليفزيون امكانياته الخاصة اذ يجتمع فيه الكلام المسموع ، والتصوير المنظور ، وبهذا يستغل ما يمكن استغلاله من الفن الكلامي بالاضافة الى ما يمكن استغلاله من التصوير والتمثيل والغناء والموسيقى والرقص .

ومن اول ما يلاحظ فى لغة الاعلان المكتوب انه يكثر فيه استعمال الحروف الكتابية وعلامات النقط والترقيم استعمالا مخالفا للمألوف فى الكتابة العادية . فالكلمة او العبارة قد تكتب ـ فى العربية مثلا ـ مقطعة الحروف حرفا حرفا لا موصولة الحروف ، وقد تكتب بصورة تختلف عن صورتها العادية اما ملاءمة للمادة التي تكتب بها خشبا او حجرا او معدنا او غير ذلك ، واما مراعاة للموضوع المعلن عنه ، او لهذين معا . اما علامات النقط والترقيم فقد اكتسبت فى لغة الاعلان دلالات جديدة : فقد يبدأ الاعلان بعلامة استفهام ليس قبلها كلام ، او بعلامة تعجب ، اوبهما معا ، او بمجموعة من النقط الافقية ، او بمجموعة من النقط الافقية تعقبها علامة استفهام او علامة تعجب . ومن الملاحظ ان علامات الاستفهام والتعجب كثيرا ما تضاعف متوالية فى الاعلانات المكتوبة .

ولا شك فى ان الاعلان ـ ايا كانت صورته ـ يراعى فيه مناسبته للموضوع المعلن عنه ، والامثلة كثيرة على ان عدم التوفيق فى اختيار الاسم او الاعلان يؤدي الى الفشل والكساد ، بينما يؤدي التوفيق فيه الى الشهرة والاقبال .

ان دراسة اللغة المستعملة فى اوجه النشاط الاقتصادي محوجة كذلك الى دراسة الوان من الكلمات والتعبيرات تمتاز بالجفاف بالقياس الى ما قدمنا الكلام عنه . فلا بد من حصر جميع المصطلحات الخاصة بكل وجه من وجوه هذا النشاط وتقويمها التقويم الصحيح ، ويدخل فى ذلك مصطلحات التعاقد والاستئجار والشحن والتامين ، ومصطلحات المراسلات ، ومصطلحات التسجيل فى الدفاتر ، والمصطلحات المستعملة فى «الفواتير» وفى الشهادات الخاصة بجودة السلع وسلامتها ووزنها ، ومصطلحات التقاضي حال الخلاف . وما من شك فى ان دراسة مصطلحات النظريات الاقتصادية نفسها من الزم الامور واهمها .

ولغة كل من الحياتين الزراعية والصناعية تمثل الوانا من العلاقات بين اللغة والمجتمع بعضها يتمثل فى استعمال اللغة فى غير هذين المجالين ، وبعضها يتضح فيهما اجلى مما يتضح فى سواهما .

من المعروف ان لكل من هذين الميدانين ، بل لكل فرع من فروعهما مفرداته الخاصة ، وان من هذه المفردات ما لا يستعمله ولا يعرف مدلوله الا اصحاب هذين النشاطين وبعض من يقدر له الاتصال بهم فى شؤونهما ، وان كانت هذه الظاهرة تحتاج الى من يدرسها دراسة مفصلة مستوعبة (1) . ولكن الامر ابعد من هذا واعمق ؛ فالغالب ان الكلام الذي يستعمله كل من اصحاب هذين النشاطين ـ بما فيه من تركيبات خاصة واستعارات وتشبيهات وامثال ، بل بما فيه من طريقة نطق الكلمات ولو كانت من مفردات اللغة المشتركة الشائعة ـ دال على عمله وعلى طبقته الاجتماعية ، وان اختلفت الدلالة نسبة باختلاف الافراد والظروف والعصور .

ومن شواهد اختلاف لغة اصحاب الحرفة الواحدة

---

(1) اورد الاستاذ علي عبد الواحد وافي فى هامش ص 151 من كتابه « اللغة والمجتمع » (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه 1951) بعض مفردات خاصة بالصيادين والبحارة المصريين نقل بعضها من مقال للاستاذ ابراهيم محمد الفحام وسجل بعضها بنفسه من لغة بحارة رشيد .

باختلاف العصور انه عندما تكون الحرف والصناعات وقفا على اسر معينة يتوارثونها فان لهجاتهم تكون اشد تمييزا لهم منها عندما يسمح المجتمع لمن يشاء بالاشتغال بالحرفة او الصناعة التي يختارها . وهكذا اذا قارنا بين كلام اصحاب حرفة معينة فى القرن التاسع عشر فى مصر بكلام المشتغلين بهذه الحرفة نفسها فى مصر اليوم فانا سنجد فروقا مردها الى هذا السبب نفسه فضلا عن تلك الراجعة الى التطور التاريخي العام .

والامثال التي يستعملها الزراع والصناع ، بل كل فئة من فئات الزراع ومن فئات الصناع ، من اطرف الموضوعات الجديرة بالدراسة . ومن هذه الامثال ما يستفيض فيصبح جزءا من « اللغة العامة » تستعملها الجماعة على اختلاف طبقاتها ، ومنه ما يظل محصورا فى بيئته لشدة لصوقه بها او لغير ذلك من الاسباب . وهذه الامثال ، كسواها ، تتسم بميسم المحافظة والتوارث ، الا انه مما لا شك فيه ان التغيرات الكبيرة التي تصيب هاتين الطبقتين ، كالتوسع فى استعمال الالات فى الزراعة ، وكالانقلاب الصناعي ، لها اثارها فى استحداث امثال جديدة وفى لهجتهم الخاصة على وجه العموم . ومن واجب الباحث اللغوي ان يربط كلا باصله وسببه .

ومن الملاحظ ان لكل من الزراع والصناع ، كالتجار ، رموزهم الكلامية الخاصة بهم التي ينحصر فهم مدلولاتها فيهم وفيمن يتصل بهم ، كما ان لهم تعبيرات كلامية تستهدف التهكم على غيرهم من سائر الطبقات الاجتماعية . وهذه الرموز والتعبيرات قد تكون من وضع افراد منهم ، وقد تكون ماخوذة من لغات اجنبية ، وقد تكون استعمالا خاصا لكلمات وتعبيرات من كلمات اللغة العامة وتعبيراتها.

ومن اهم ما يجدر بدارسي اللغة الالتفات اليه والعناية به ، ان الكلام فى كثير من وجوه النشاط الزراعي والصناعي يكون جزءا من العمل : فحديث الفلاح الى بهيمته وآلته ، وغناؤه عند الحرث والري والحصد ، وكلام الحداد عند الطرق والنفخ فى الكور ، وغناء « الفعلة » الذي يقوده رئيس لهم ، كل ذلك وامثاله جزء من العمل معين على اتمامه . ومن الواجب ان يجمع كل صنف من صنوف هذا النشاط اللغوي — فى كل لغة — وان يفسر موصولا بالظروف التي يستعمل فيها ، وبالوظيفة التي يؤديها .

والصناعات والحرف من اهم ابواب الاحتفاظ بالكلم القديم ، كما انها من اهم ابواب دخول الكلم الحديث اجنبيا كان او اصيلا . فمن الملاحظ ان الجماعة التي تتغلب على لغتها لغة اخرى تحتفظ ، بعد سيادة اللغة الطارئة ، بكثير من مفردات اللغة الاولى، ومنها ما يتعلق بالحرف والصناعة والزراعة ، وخاصة اذا كان اصحاب اللغة المتغلبة ادنى شأنا فى هذه الامور . فالعامية المصرية قد احتفظت بكثير من الكلمات القبطية المتعلقة بالزراعة (كاسماء الشهور ، والمواسم الزراعية ، واسماء بعض الالات الزراعية) وبالصناعة ، والعامية العراقية استبقت كثيرا من الكلمات البابلية والاشورية ، والفارسية المتعلقة بهذه الموضوعات .

والصناعات وفنون الزراعة التي تاخذها جماعة عن اخرى تنتقل معها ، فى الاغلب ، اسماؤها الموضوعة لها فى لغة الماخوذ عنهم ، كما انها تكون مثيرا الى وضع كلمات جديدة . وهكذا فالانقلاب الصناعي الحديث الذي كانت اوروبا مهدا له ، وتاثرت به معظم امم العالم ، نقل معه الى كثير من اللغات كلمات من لغات اوروبية مختلفة . واذا نظرنا الى العربية فى مصر ، عاميها وفصيحها ، وجدنا فيها كثيرا من الكلمات الفرنسية والانجليزية والايطالية والالمانية واليونانية ، وغيرها ، المتصلة بالهندسة والميكانيكا والالات الصناعية الحديثة الماخوذة عن الغرب (مثل : ديزل — تنك — دريكسيون — سبن — جير — بستن الخ). كما ان هذا التاثر بالتطور الصناعي الحديث دعا الى تغيير مدلولات كثير من الكلمات العربية ، والى اشتقاق كلمات جديدة من اصول عربية خالصة . ولما اتخذت مصر الزي الاوروبي الحديث سرت فى لغة الخياطين المصريين كلمات غربية اكثرها من الايطالية (مثل : مزورا — نودرة — فرساليا — سكوندو برونه الخ) .

بنغازي — محمود السعران

خطيئة

في اعـالي خطيئـه
تنهش الرؤى البريئـه
تهتـدي بـدون وعي
كالخرافـة الجريئـه
حومت علـى جراحي
في ارتعاشـة مضيئـه
مستبيحـة دمـائي
تقتفي الرؤى الخبيئـه
فيقـت علـي ذاتي
فهـي بالاسى مليئـه
قيـل بالدمـوع تمضي
قلت فكـرة بذيئـه
ثـورة الضمير تنجي
من براثـن الخطيئـه

مصطفى محمود
من اسرة الجيل الملهم

الياس طعمه او ابو الفضل الوليد

بقلم عيسى الناعوري

منذ نحو عشرين عاما – ولعله على وجه التحديد عام ١٩٣٨ – وقعت في يدي قصيدة مخمسة لشاعر مهجري اسمه الياس طعمه، وعنوانها (الفلاح)، اذكر منها ما يلي:

يا حامد الزرع الق الحبل والمنجل الشمس غابت واستار الدجى تسدل
والرب بارك يا فلاح ما تعمل فقل اذا اطربتنا رنة الجرس:
ما ابدع الكون يا ربي وما اجمل.

وكانت بالنسبة الي قصيدة يتيمة، لا اعرف شيئا عن صاحبها، ولا اعرف قصيدة سواها. وقد اعجبت بها وحفظتها حينذاك، وجعلتها بعدئذ من محفوظات طلابي في بعض المدارس التي عملت معلما فيها.

ومضت الايام، ووقعت على عدد من القصائد لشاعر اسمه (ابو الفضل الوليد)، لم اكن اعرف اذ ذاك انه مهجري، ولا كنت اعرف الصلة بينه وبين الياس طعمه.

وولعت بعد ذلك – منذ عام ١٩٤٦ – بالادب المهجري، واتصلت بالكثيرين من ادباء المهجر، وعرفت في هذه الفترة ان ابا الفضل الوليد هو الياس طعمة نفسه. وكان اول من عرفت هذا عن طريقه هو الاديب المهجري توفيق ضعون، من كتابه (ذكرى الهجرة) المطبوع في البرازيل عام ١٩٤٧. غير انني لم اعرف عنه ما فيه الكفاية، ولا استطعت ان اقع على شيء من مؤلفاته او دواوينه الشعرية.

ومنذ ذلك الحين كتبت الكثير جدا، واذعت الكثير جدا عن ادب المهجر وادبائه، ولكنني لم اكتب فصلا واحدا عن ابي الفضل. حتى حمل الي البريد في شهر شباط من عام ١٩٥٢ رسالة من اخ عربي درزي – مقيم في نيجيريا – اسمه فايز محمود مكارم – تفيض بالعتاب لاهمالي الكتابة عن «الشيخ ابي الفضل الوليد – اشعر من شعر واكتب من كتب» – كما يقول – وقد ضمن كتابه ذلك نتفا من بعض قصائد الشاعر، وعاد فاردف كتابه بشان ملآه بمختارات من نثر ابي الفضل الوليد، مما كان ينشره في السنوات الاخيرة من عمره في جريدة (الحديث) اللبنانية – لصاحبها الياس حرفوش –. وتلطف فاهدى الي مع كتابه الثاني نسخة قديمة ممزقة الغلاف من ديوان (الانفاس الملهبة) الشاعر، كانت هي كل ما لديه من دواوين الشاعر ومؤلفاته.

وكان اكثر ما يتألم له الاخ فايز مكارم شيئان: الاول ان العرب لم يعرفوا قدر هذا الشاعر الفذ، فاهملوه وتجاهلوا حتى وفاته – التي كانت بسبب سقوطه عن سطح عال، كما يقول –، والثاني انه لم يقم احد بتنفيذ وصية الشاعر التي طلب فيها ان يدفن على ضفة نهر بردى في دمشق، لانه كان احب الانهر اليه واقدسها.

وانها الان لمناسبة سانحة لاكرر للاخ فايز مكارم جزيل الشكر على تنبيهه اياي، وعلى هديته اللطيفة الي. فقد ذكرني بواجب لا يسعني تجاهله في هذا الكتاب الذي ادرس فيه ادب المهجر وادباءه.

وعدا الاخ فايز مكارم عاتبني اكثر من واحد من اخواني الاردنيين – وفي مقدمتهم الاستاذ سعيد دره، رئيس المفتشين في وزارة التربية والتعليم الاردنية سابقا، ومدير دائرة الاثار الاردنية اليوم – لعدم اهتمامي بالكتابة عن ابي الفضل الوليد، وهو لا يقل في شاعريته ووطنيته عن القروي وفرحات.

ولقد عثرت مرة على (كتاب القضيتين) من تاليف ابي الفضل الوليد، فاجتمع عندي الان اديبان له، هما هذا الكتاب، وديوان (الانفاس الملهبة)، كما وقعت على عدد من قصائده الاخرى، وعلى عدد من الابحاث التي كتبت عنه في بعض الصحف والكتب. فلم يعد بد من الكتابة عن هذا الشاعر المهجري، والاديب القومي الكبير.

ومنذ مدة كنت في زيارة لصديقي الاستاذ البرت الريحاني في الفريكة. وفي الطريق اليه، وعلى مقربة من الفريكة مرت بنا السيارة في قرية (قرنة الحمراء)، فقلت: اهذه قرية الياس طعمة؟ فالتفت الي احد ركاب السيارة من ابناء القرية وقال: تعني «وليد»؟ قلت: نعم، اعني ابا الفضل الوليد. فقال: هو من هذه القرية، وقد توفي ودفن فيها منذ سنوات. ولما سالته عن سنة وفاة الوليد لم يستطع ان يعرفها بدقة.

ولد الياس بن عبدالله طعمة في قرية قرنة الحمراء عام ١٨٨٩، من اسرة ثرية. وتعلم في مدرسة القرية، ثم ارسله ابواه الى مدرسة عينطورة، فقضى فيها ثلاث سنوات، تعلم فيها العربية والفرنسية، ثم انتقل الى مدرسة الحكمة في بيروت لمدة ثلاث سنوات اخرى. وفي مدرسة الحكمة اخذت موهبته الادبية تتفتح وتبرز، فقد جعل ينظم الشعر بالعربية والفرنسية.

وقبل ان ينهي دراسته في مدرسة الحكمة عاد الى قرنة الحمراء وهو ما يزال في السادسة عشرة من عمره. وبقي في بيت ابويه ثلاث سنوات، حتى كانت سنة ١٩٠٨، وفي ذلك العام اصر على الهجرة الى العالم الجديد، رغم الحاح ابويه عليه بالبقاء معهما، لعدم حاجته وحاجتهما الى اغترابه لاجل المال. وفي طريقه الى العالم الجديد زار مصر، وايطاليا، واسبانيا، والبرتوغال، ثم حط رحاله في الجمهورية الفضية – الارجنتين – وبقي فيها سنتين، ثم هجرها الى البرازيل، واستقر في ريودي جانيرو مدة اثنتي

٭ من كتاب (دراسات في ادب المهجر) للمؤلف تقوم بنشره دار المعارف بمصر.

عشر سنة .

وفى البرازيل انشأ عام ١٩١٢ جريدة دعاها (الحمراء) استمرت فى الصدور اربع سنوات . كما عمل محررا فى عدد من الصحف هناك . وكان من خلال ذلك عربيا حرا فى ادبه وشعره ؛ يدافع عن حرية قومه ، ويناهض قوى الظلم والطغيان : فى عهد الاحتلال التركي اولا ، وفى عهد الاستعمار الفرنسي والبريطاني بعد ذلك .

وفى عام ١٩١٦ غير اسمه رسميا فى سجلات حكومة البرازيل ، فبدلا من (الياس طعمه) اصبح اسمه ابو الفضل الوليد بن عبدالله طعمة) . ويذكر توفيق صنعون فى كتابه (ذكرى الهجرة) انه اعلن اسلامه حينذاك . وقد بقي على اسلامه الى اخر حياته ، وظهر ذلك جليا فى شعره .

وخلال اقامته فى البرازيل طبع عددا من تآليفه الادبية ودواوينه الشعرية . ولما عاد الى الوطن بعد ذلك راح يعيد طبعها من جديد .

وفى عام ١٩٢٢ لم تعد تطيب للوليد حياة الغربة ، فقد كان يحن حنينا لهيفا الى بلاده العربية ، ويتحرق شوقا الى خدمتها بنفسه وقلمه وهو بين اهليها المقيمين . فغادر البرازيل عائداً الى الوطن ، وفى طريق عودته عرج على تونس والجزائر . وفى عام ١٩٢٤ رحل الى القاهرة ، وعرضت عليه هناك مناصب حكومية عالية، فابى ان يتولى شيئامنها.

وفى عام ١٩٢٥ استدعاه المغفور له الملك حسين بن علي لزيارته فى العقبة ـ وكان قد خرج من ملكه فى الحجاز ـ فغادر الوليد القاهرة الى القدس ، ثم الى عمان، حيث رافقه الامير طلال بن عبدالله ـ امير الاردن حينذاك ، وملكها بعد ذلك ـ الى العقبة لزيارة الملك حسين . وقد اقام فى الاردن نحو ستة اشهر ، وعرضت عليه وظائف عالية فى الدولة ، ولكنه لم يكن يقبل وظيفة . ثم غادر الاردن الى سوريا ، ثم الى العراق ، حيث احتفى به الملك فيصل واكرمه .

وفى عام ١٩٢٩ انتدب ليمثل لبنان فى المؤتمر الشرقي ضد الاستعمار فى برلين . ثم عاد الى لبنان يعمل بجد ونشاط ، ويكتب فى الصحف ، ويطبع الكتب والدواوين الشعرية ، متوخيا حرية قومه ، ووحدة بلاده وسيادتها .

ومنذ عام ١٩٣٤ اخلد الى العزلة ، وظل كذلك ، لا يكاد يعرف له شيء من النشاط فى غير ما يكتبه احيانا فى (الحديث) وبعض الصحف الاخرى ، حتى توفي فى اواخر الحرب العالمية الثانية ، فلم يشعر بموته الا الاقلون من اخلص اصدقائه ، ولم يهتم بالكتابة عنه غير جريدة (الصفاء) التي كان يصدرها رفيقه امين ناصر الدين، وعدد قليل اخر من الصحف . ثم نسيه الناس ، وفقدت مؤلفاته ودواوينه من الاسواق ، ولم يهتم ناشر ببعثها من جديد حتى اليوم .

لابي الفضل الوليد عدد غير قليل من المؤلفات والدواوين الشعرية ؛ وهي : فى الشعر : (رياحين الارواح ـ اغاريد فى عواصف ـ الانفاس الملهبة ـ نفخات الصور ـ غافر ولبانة ـ السباعيات) . وفي النثر : (احاديث المجد والوجد ـ كتاب القضيتين ـ المالك ـ زوال الحب والملك ـ التسريح والتصريح) . وقد ذكر له بعضهم كتبا اخرى كان قد طبعها فى المهجر ، منها ـ فى الشعر : (الغريبات ـ والقصائد) وفي النثر (كتاب الشعب ـ نفحة الورد ـ اخر بني سراج ـ الصحائف) . وذكر ايضا انه اشتغل كذلك فى وضع عدد من الروايات التمثيلية ، ومنها (اسرار بغداد ـ نكبة البرامكة ـ واحمد وولادة) كما ترجم قصيدة (البحيرة) للامارتين ـ و (الليالي) لالفريد دي موسيه ، وقسما من (الكوميديا الالهية) لدانتي ، وثلاث روايات لالفريد موسيه هي (احلام العذارى ـ والحب اخره قتل ـ وبعثناه خاطبا فتزوج) ، وكل هذه المسرحيات والترجمات كان من عمله فى عامي ١٩٠٦ و١٩٠٧ قبل هجرته الى اميركا ، وهو بعد فى سن السابعة عشرة والثامنة عشرة . وقد اضاف الى ذلك فى تلك السن المبكرة ان نظم (نشيد الاناشيد) لسليمان بن داود شعرا . ولكن كل هذه المؤلفات والترجمات ضاعت اثناء اغترابه بينما كان يقوم باحدى رحلاته فى ديار الهجرة .

وليس يعنينا عدد مؤلفاته ومترجماته بقدر ما تعنينا شاعريته وبيانه ، وغيرته الوطنية والقومية فى ما بقي لنا من اثاره الادبية .

اما غيرته القومية وعروبته المخلصة فلسنا فى حاجة الى دليل عليهما ، لان كل دواوينه ومؤلفاته تغيض بهما فيضا. وقد قال فى القصيدة الاولى من ديوانه (الانفاس الملهبة) :

الى كل شعب ليه عرق من العرب	كتبت، وهذا الشعب احب شعبي
تفرقت الاقوام والاصل واحد	نحبا لجمع الشمل يجمعهم قلبي
نعم موطني لبنان ، لكن مولدي	به عربي ، كالولي من السحب
فلا قوم الا العرب لي وانا لهم	على البؤس والنعماء، والسلم والحرب
فاعظم واكرم باتحاد ونسبة	الى دولة تمتد فى الشرق والغرب
وما هي الا امة عربية	دما ولسانا ليس تفصل بالترب
مناقبها لم تجتمع فى سلالة	وما برحت اما لكل فتى ندب

وقد استهل ذلك الديوان بكلمة نثرية يقول فيها :

(الفضل فى الهامي لروح العروبة التي لاحت لي ورائها روح عليين . اني اموت كما عشت عربيا آملا مشوقا ، واود ان تضم جثماني تربة دمشق الطيبة . هناك تهيم روحي فى البادية ، وتتنشق نفحاتها الطاهرة ، وتطرب لهدير بردى . تلك رقدة اشتهيها ، واعلل نفسي بها ، واراها خير مكافأة لي اذا كنت مستحقا .)

واما شعره فهو يجري كله على النمط التقليدي ، فاغلبه طويل النفس ، ذو قافية واحدة ، ويندر ان تخلو قصيدة له ـ حتى لو كانت غزلية ـ من ثورة وطنية ، او من حنين الى الوطن ، او من تغزل بذكريات الامجاد والفتوح العربية. فالوطن والعروبة هما عماد ادبه ، وقوام شعره .

ولعله اكثر الشعراء العرب تغنيا بامجاد العرب فى الاندلس ، واكثرهم نظما فى الاندلس وحنينا الى عهود

العرب فيها .

ومن اندلسياته العديدة نقتطف ابياتا من قصيدة نونية عنوانها (رثاء الاندلس) يستهلها قائلا :

يا ارض اندلس الخضراء حيينا … لعل روحا من الحمراء تحيينا
عادت الى اهلها تشتاق فتيتها … فاسمعت من غناء الحب تلحينا
كانت لنا، لعنت تحت السيوف لهم … لكن حائرها رسم لماضينا

وفيها يقول :

في البرتغال واسبانية ازدهرت … آدابنا ، وسمت دهرا مبانينا
وفي صقلية الاثار ما برحت … تبكي التمدن حينا والعلى حينا
كم من قصور وجنات مزخرفة … فيها الفنون جمعناها افانينا
وكم صروح وابراج ممردة … زدنا بها الملك توطيدا وتمكينا
وكم مساجد اعلينا مآذنها … فاطلعت انجما منها معالينا
تلك البلاد استمدت من حضارتنا … ما ابدعته واولته ايادينا
فيها النفائس جاءت من صناعتنا … ومن زراعتنا سارت بأيدينا
فاجدبت بعدنا واستوحشت زمنا … تصبو الينا وتبكي من تنائينا
بعد الخلافة ضاعت ارض اندلس … وما وفى العرب الدنيا ولا الدينا
ما كان اعظمها للملك عاصمة … وكان اكثرها للعلم تلقينا

وهي قصيدة طويلة ، ملأى بالذكريات الموجعة ، واللهفة الى استرداد المجد المضاع . ومثلها كثير في مختلف دواوين الوليد .

ومثل الاندلسيات كذلك تكثر قصائد الحنين . ومنها قصيدة خماسية بعنوان (بنت لبنان) يبدأها بقوله :

الليلة القمراء ترخي النقاب … بالله دع نفسي وذكراها

يا نازحا طال عليه الزمن … هلا تعللت بتذكر الوطن
تبسم النفس لكل المحن … كنجمة تطلع فوق الهضاب
في سفح لبنان رعيناها

ويختمها بقوله :

يا حبذا الحمراء والغابتان … يا حبذا الصفصاف والسنديان
الذكر لا يمحوه طول الزمان … والنفس لا تعلم كيف الذهاب
ما بين ذكراها وبلواها

ومنها ايضا قصيدة بعنوان (تلفت الى الوراء) يقول فيها :

سلام على حمراء لبنان من فتى … يحن اليها كلما شهد البحرا
ويصبو الى الوادي الذي في شماله … نمائد حب تحتقر الطرس والحبرا
نمائد ترويها الطبيعة في الدجى … ويبرزها نور الصباح لمن يقرا
يذكرني الوادي الصبى ، ويسوقني … حماه فان اظفر به اطرح الدرا
لقد مر احلى العيش فيه وفوته … وذلك عيش لا يباع ولا يشرى
فاصبحت في المنفى انوح واشتكي … فلله ما اشقى المحبين بالذكرى

ولسنا نستطيع ان نسترسل الى شعر الحنين لدى ابي الفضل الوليد ، فهو اكثر من ان نحصيه في مثل هذه الدراسة .

والواقع اننا حيثما التفتنا في شعر الوليد ، فاننا ندور في حلقة من الشعر الوطني والقومي والحماسي . والشعر في مثل هذا الموضوع لم نعتده الا خطابيا مجلجلا بالفاظه وعباراته . وشعر الوليد خطابي مجاجل كله ؛ وحين نقرا قصيدته (الملقة) التي تقارب المئة والخمسين من الابيات ، نشعر بمثل الهدير ، وزمجرة العواصف والرعود ، فالشعر الخطابي لا يعرف اللفظة الرقيقة ، والعبارة الموسيقية الناعمة . واليك ابياتا من هذه (الملقة) الوطنية :

حرية الشعب بين السيف والقلم … وقوة النفس بين الدمع والالم
وفي الشدائد والثورات بان لنا … فضل الرجال ذوي الافكار والهمم
يا حبذا امة تشقى بثورتها … حتى تفوز بما ترجو من النعم
لو كنت تعلم ما معنى الحياة وما … في طاقة الشعب لم تقنط ولم تنم
الشعب، ما الشعب ان ثارت خواطره … ومنه زمجرة الاساد في الاجم
روح العلي على الظلام غاضبة … تطهر الارض بالاهوال والنقم
الشعب ما الشعب ؟ بحر كله زبد … والموج ما بين هدار وملتطم
والله والله لو كنا ذوي انف … لما تركنا جدارا غير منهدم
لنا حقوق وثارات نذكرها … ابناءنا ، ونبكيهم على الرمم
سنطلب الحق يوما بالسيوف فلا … نرتد حتى نرويها من اللمم

على ان هذا النمط التقليدي في الشعر ، مع طول النفس في القصيدة ، ووحدة القافية ، كثيرا ما يلجئان الشاعر الى العبارة الركيكة ، واللفظة غير الشعرية . ومثل هذا غير قليل في شعر الوليد ، لا سيما واغلب شعره يدور على محور واحد ، ويطرق موضوعا واحدا .

واما في النثر فان الوليد يتوخى دائما جزالة العبارة وفخامة الجرس ، وكثيرا ما يلجأ الى السمع . ولكنه في معالجاته الوطنية والاجتماعية كثيرا ما يوفق الى الاجادة ، فلا يرمي الا صائبا . والذي يقرأ كتابه (كتاب القضيتين) يجده فيه موفقا الى حد بعيد في معالجة قضايا الامة العربية ، وشؤون البلاد العربية .

وخلاصة القول ان ابا الفضل الوليد ـ الياس طعمه ـ كان في ادبه يؤدي رسالة سامية الى امته العربية ، ولم يحد عن رسالته هذه حتى اخر لحظة من حياته . فكان بين ارباب القلم من المجاهدين الاحرار ، ومن انشط العاملين المخلصين لاجل حرية بلادهم ، وسيادة امتهم .

عمان … عيسى الناعوري

ندم !

٥

نفضت كفك مني ورحت تسال عني

لن يعرف الليل آهك
اطبق عليهاشفاهك

سواده حال كحلا على جفون التمني
وسهده افتن لهوا في سهرة المطمئن
لا يسمع الآه الا غنى شفاه المغني

لا تغسلن جراحي بالدمع واغسل سلاحك
نفضت قلبي منها خلها ـ فصارت جراحك
طعنت حبك فاجعل له الضماد وشاحك
لن يحمل المن قلبي عليك فاخلع سماحك

واكبح سؤالك عني وكف دمع التجني
طرفت عينك لما نفضت ثوبك مني

نفضت قطرة طل عريت منها صباحك
ورحت تسال عنها والقيظ يكوي جناحك
فان تسل اين ذابت فسل بها اقداحك
هل انت تشرب روحي ام انت تشرب راحك

اشرب هواي وغني بي سوف الهيك عني
غدوت دنياك لما نفضت كفك مني !!

فارس سعد

افيونيات كولردج

بقلم سمير عبده

ولد الشاعر الانكليزي كولردج فى ٢١ تشرين الاول سنة ١٧٧٢ ، والتحق بمدرسة ديفونشير في السادسة من عمره ، وبعد بضع سنين وقع فى يده كتاب الف ليلة وليلة فاكب على قراءته ، وفيه يقول : « لقد اخترته دون ملاهي الطفولة ، فقرأته ، ثم اعدت قراءته ، فغرقت فى بحر من الاحلام » .

ثم مات والده وهو فى العاشرة من عمره ، فاضطربت حياته ، وفى هذا الاضطراب يقول شارلس لامب : « هو الطفل الغريب الإطوار الذي لا صديق له . . »

ولما تجاوز كولردج الثانية عشرة من عمره انغمس في البحوث العويصة فقرأ علوم الدين والسحر وعرج على الشعر، فكان اول ما قرأ اشعار باولز ثم التحق بجامعة كامبردج . ولكن سرعان ما غادث حياته الى الاضطراب . فتطوع فى الجيش ثم تركه ، واخيرا تمخضت نزعاته عن مشروع افيوني عجيب : هو ان يذهب اثنا عشر رجلا واثنتا عشرة امراة الى ارض تسمى « سوسكيهانا » — وهو اسم موسيقي جميل يكاد لا يكون له مسمى — وهناك يعملون ساعتين كل يوم ليضمنوا القوت الضروري ثم يعكفون على دراسة العلوم والاداب بقية النهار وشطرا من الليل .

ونسى هذا المشروع الخيالي العجيب ، وتزوج فلم يوفق فى حياته الزوجية ، واخيرا اتصل بوردسورث الشاعر الانجليزي الكبير وباخته دوروثي ، وهناك استقرت حياته وهبت نسماتها رخاء ، فنظم اروع قصائده ما بين سنة ١٧٩٧ وسنة ١٧٩٨ .

وقد وصف لنا وردسورث صديقه كولردج فقال انه رجل يلفت الانظار اول وهلة بعينيه النجلاوين وجبهته البارزة ونزعاته العجيبة . ووصفته اخته دوروثي فقالت انه رجل بديع . . ووصفه هازلت فى كتابه (اول تعارفي بالشعراء) فقال ان مظهره لا يكاد يدل على انه شاعر حتى يتكلم فتقفز عبقريته قفزا .

ومما يؤسف له حقا ان كولزدج بدا يدخن الافيون يافعا ، فتمكن منه هذا المخدر واضعف قدرته على الانتاج، وزين له التوغل فى عوالم من الخيال لا نعهدها قط فى حياتنا الراهنة وكانت قصيدة « الملاح الهرم » احدى قصائده الافيونية ان صح هذا التعبير .

نحن ازاء قصة ملاح مسن . لا ندري لم غير كولردج العنوان فاستبدل The old navigator بعنوان اخر هو The ancient mariner الا ان تكون النزعة الافيونية قد رانت على خياله فراى العنوان الاول لا يمهد للصورة التي عول على ان يفاجىء بها الادب الانجليزي . والواقع ان هناك فرقا بين العنوانين ، فالاول بسيط يكاد يكون عنوانا لقطعة نثرية . اما الثاني ففيه غرابة وشذوذ .

وقف الملاح الهرم ، وهو رجل بطين كث اللحية حديدي النظرات ، امام بيت فيه وليمة عرس تصاعدت منها نغمات الموسيقى والغناء . وما كاد يرى ثلاثة من المدعوين حتى انقض على احدهم انقضاض الصاعقة . . فعجب الرجل، ووزعه قائلا : لماذا تعترض سبيلي بلحيتك الكثة وعينيك البراقتين ؟

فقال الملاح : كانت سفينة . . .

وهنا خضع الرجل للملاح واستمع الى القصة « كما يستمع طفل عمره ثلاث سنوات الى احدى القصص المخيفة »

ثم يروي الملاح الهرم قصته ، وهي قصة عجيبة ما فتئت ترقص فيها اشباح المزاج الافيوني وتقفز فيها الشياطين ، ويبعث الاموات ، وتنور الاكوان ، ولا ندري علام كل هذا ؟

اقلعت السفينة ، وشعر ملاحوها بنشوة النسمات البحرية المالحة ، وانسابت امامهم المراعي والحقول والاكواخ ، ثم القلاع والتلاع ، ثم استقبلهم الخضم فتزايدت هذه المرئيات وكانت اخرها قنة الفنار .

واشرقت الشمس ثم اخفقت ومالت الى الغروب . ثم اشرقت وغربت . واخيرا نفخ فى البوق فجاءت العاصفة نكباء ، ثم جنبت فحملتهم شطر الجنوب وهدات الريح لم صبت ثم شملت فبرد الجو وتكاثف الضباب ، واشتد الزمهرير ، وزحفت الثلوج فخشعت الابصار وكلت وسئمت هذا المنظر الذي لا يتغير فلا نبات ولا حيوان ، وما من ماء الا وتغمره الثلوج .

وبينما هم فى هذه الغمرة اذا بطائر جميل رفرف فى الهواء بجناحين كبيرين ، فهرع الملاحون لرؤيته واستبشروا بقدومه السعيد ، وانتظروا الخير على يديه ، وقدموا له مما كان معهم من طعام ، فلما شبع الطائر اضحت السماء وصبت الريح وانقشع الضباب وذابت الثلوج وسارت السفينة بعد ان كادت الثلوج تحطمها .

وهنا ظهر الهلع على الملاح البطين الكث اللحية ، فقد لمعت عيناه ببريق رهيب ، فتساءل الضيف الذي كان يستمع اليه عن السر فى هذا الهلع واذا بالملاح يقول فى رعدة: ويلاه لقد شددت على قوسي ورميت عنه فاصاب السهم المفوق قلب الطائر المسكين . .

نعم لقد قتل الملاح الطائر الذي جلب السعد على السفينة وعلى ركابها ، فعادت الريح نكباء ، ثم جنبت، واخيرا سكنت فوقفت السفينة لا تتحرك ، عندئذ ثارت ثائرة الملاحين ووجفت قلوبهم من هول الجرم ، وراحوا يصيحون ويتشاءمون ، وقالوا ان زميلهم قتل الطائر الذي جلب

عليهم الرياح فهم بعد اليوم الى حتفهم يسيرون .

وكانوا قد جازوا خط الاستواء . فلما وقفت بهم السفينة اياما واعوزهم الطعام والماء الح عليهم الجوع وارهقهم الظما فهزلت اجسامهم وشحبت وجوههم وبرزت هياكلهم ، وانهالت عليهم اشعة الشمس كأنها رماح محماة نصلت عليهم من اعنان السماء ، وامطروا غضبا من الله وعذابا ...

ورمت السفينة واغث هيكلها ، واحصرهم البلاء فى غمر من الماء لا اول له ولا اخر ، فاخلدوا به ولا عباب يصعد بهم او يهبط ، ولا حركة تقشع عنهم ويلات السكون ، ولا نسمة تثلج صدورهم ، ولا ماء الا الملح الاجاج ، فقد املح الخضم واحماه الطين ؛ ولا غذاء ولا نشاط ولا امل .

ونتات فى البحر نتوء من الاقذار ، وفجئتهم زواحف صديئة لها ارجل مخيفة ، ورقصت اشباح الموت فوق امواه كزيت الساحرات ، فبلغت الارواح الحناجر .

وذعر اللاحون واصيبوا بالجنون ، فحملوا الطائر القتيل وعلقوه فى عنق القاتل ، ثم ضاقت صدورهم وشحت انفاسهم فكانوا يموتون واحدا بعد واحد وكل منهم ينفخ الملاح الهرم بلعنة قبل ان يلفظ النفس الاخير .

وكان عددهم اربعين ماتوا فى برهة وجيزة ، ولم يبق الا الملاح والزواحف الصديئة ذوات الارجل الخيفة . ومن عجب ان اجداث الموتى لم تتزايل ولم يتطرق اليها البلى ، وان نظراتهم ظلت تنصب على قاتل الطائر المسكين .

وظل الملاح الهرم فى هذا الجحيم عدة اسابيع . وفى ذات ليلة طلع البدر فى السماء وخفتت همهمة الزاحفات ، فوقف معجبا بهذا المنظر الساحر ، وتطلع الى الزاحفات فالفاها جميلة فى هداة الليل ، فباركها وطلب لها من الله الرحمة .

وهنا ظهرت المعجزة ، فقد مرق جدث الطائر القتيل المعلق فى عنقه وهوى الى البحر وكأنه قطعة من الصلب ، واغفى الملاح وراح فى جنة الكرى .

ولما صحا من غفوته سمع دويا واحس بالرياح قد عادت الى هبوبها ، ولكن العجيب فى الامر ان الرياح لم تصل الى السفينة ومع ذلك فقد امتلأ بها شراعها .. واعجب من ذلك ان الاجداث تحركت ثم انت انينا موجعا وبعثت من الموت لتؤدي اعمالها على ظهر السفينة ، فهذا يشد حبال الشراع ، وذلك يقود السفينة ، وهؤلاء يهرعون الى هنا وهناك ، ولم يكن احدهم ينبس ببنت شفة او ينظر ذات اليمين او ذات الشمال وظلت السفينة سائرة حتى جازت المنطقة الحارة ودخلت منطقة البرد القارس ، وهنا ظهر فى الجو شبحان قال احدهما للاخر :

— اهذا هو الملاح الملعون ؟

فاجابه الاخر قائلا : نعم . ولكن يخيل الي انه لقي من لعنتنا ما كفاه ، ولا بأس من العفو عنه .

وظل اللاحون الموتى الاحياء يسيرون السفينة حتى اقتربت من ارض الوطن ، فلاحت اولا قبة الفنار ، ثم القلاع والتلال ، ثم المراعي والحقول ، ثم الاكواخ .

وطرب الملاح الهرم وتلفت الى زملائه ، فاذا باجداثهم ملقاة على ظهر السفينة ، واذا بارواح جفيلة تقف فوقهم وتحيي الملاح تحية الوداع ..

واقبل ملاحو المرفا ليرفاوا السفينة فعجبوا لما يلوح عليها من اثار الموت ، وبينما هم يحاولون القفز اليها اذا بها تهبط الى قاع البحر ، وينجو الملاح الهرم باعجوبة ، فيذهب الى قسيس المرفا ويروي له قصته ، ثم يقطع على نفسه عهدا بان يقضي بقية العمر فى الترحال وفى نصح الناس وارشادهم الى وجوب العطف على الانسان والحيوان على حد سواء .

هذه هي قصة الملاح الهرم ، القصة التي اوحاها افيون كولردج ، ومع اننا نعدها — من الناحية الشعرية — فى الذروة ، الا اننا نقف منها موقف الدهشة ، ونتساءل : اما كان الاحرى بكولردج ان يصل الى تلك النتيجة عن طريق اخرى تكون اقرب الى الحقيقة ؟ وما هذا الجو السحري الذي اسبغه عليها ؟ وما هذا الطائر ؟ وما هذه اللعنة التي انصبت على الملاحين ؟ واين هو هذا البحر الذي تملأه الزاحفات الصديئة والزيت الذي يشبه زيت الساحرات ؟ ولماذا انصبت اللعنة على الملاحين دون القاتل ؟

الحق ان هذه القصيدة من اغرب ما كتب فى الشعر الانجليزي اطلاقا ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على اثر تغلغل الافيون فى خيال الشاعر كولردج .

دمشق — سمير عبده

قصائد مترجمة عن فرلين

اغنيـــة الخريف

انين كمـان الخريف الكئيب
يجرح قلبي بحزن رتيـب
لغيم شحـــوب ..
يطوف ... ويخنق نفسي
وحين تدق الذكر
لحـون زمـــان عبـر
احـن لامسي
وابكي !...
وامضي مع الريح كيف تشاء
وريقـــة ورس
تموت وتقضي بكف الهواء ..

القمـــر الابيض

تجلى القمر
بلون بياض اغر
يضيء غصون الشجر ...
ومن كل غصن ترامى نداء
تعـال حبيبي !

وصفو الغـدير
كمرآة غيب عميقه
تزيك ظلالا دقيقه
لدوح بلـون الظـلام
تنـوح عليـه الريـاح
لتحلم .. قبيل بزوغ الصباح

سكون طريء فسيـــح !
يسيل وينشر عبر الفضـــاء
نعاسا يدغدغ جفـن القمر
تعال حبيبي فهذي ثواني الهنـاء !

انهـا تبكي بقلبي

تغيم ... وتبكي بقلبي !
كليل يرش سطوح المدينه
بدمعـات صمت حزينـــه
فاي عذاب يحز فؤادي
واي اكتئـاب !

غناء المطر
بحضن التراب
وفـوق السطوح
تباركت انت
وكنـت
نعيم السماء
وطل الشفـاء
لقلب تشاءب فيـه الضجر !

اتبكي بـذا القلـب .
دون سبب ؟!
اليس هنـاك خيانـه !
تفطر هـذا الفؤاد ؟
وهذا الحـداد
يلف كيانـه .
ادون سبب !

لعمري هـدي
نهاية درب الالم
خلاصـة خل الشقاء الممض
لاني اظل لشكي
لجهلي ...
لماذا فؤادي دون شجون
وغم
ونيران بغض
ودون عذاب وحب
يظل كئيبـا ويبكي !

فنزويلا — فؤاد الخشن
من اسرة الجيل الملهم

امثال اللبنانيين في الطعام والشراب

بقلم شفيق طباره

نشا اللبنانيون على حسن التغذية ومهروا باتقان الاطعمة الشهية وموائدهم حافلة بالنفيس من الماكول والمشروب . ومن عادة عوامهم ان يتناولوا الطعام بالاصابع فياكلون من صفحة واحدة مثلما كان يجري قديما بدليل ما ورد في اصحاح متى ٢٦ عدد ٢٣ (فاجاب يسوع وقال الذي يغمس معي في الصفحة هو من يسلمني) ويعني به يهوذا الذي خانه وسلمه الى اليهود .

ومن عادتهم كذلك ان يغسلوا ايديهم قبل تناول الطعام حتى ان ذلك صار سنة متبعة وغسل اليدين قبل الطعام من العادات التي كانت مرعية في العهد القديم فقد جاء في انجيل مرقص اصحاح ٧ عدد ٢ (وقال يسوع لان الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا ايديهم باعتناء لا ياكلون متمسكين بتقليد الشيوخ) ومن العبارات الشائعة على السنة العوام في لبنان (غسل فلان يده من المسالة) او (غسل يده من دم فلان) ويرنق القائل هذه العبارة بفرك بطن اليد الواحدة على الاخرى مرة او مرتين او اكثر للدلالة على ان قائلها بريء مما نسب اليه او انه لا يعنيه من الامر شيء . وتذكرنا هذه العادة ببلاطس لما غسل يديه ففي انجيل متى اصحاح ٢٧ عدد ٢٤ (فلما راى بيلاطس ان لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغبا اخذ ماءا وغسل يديه امام الجميع قائلا : اني بريء من دم هذا البار) وعادة غسل اليدين اشارة الى البراءة كانت معروفة عند بني اسرائيل فقد كانوا فيما سلف إذا وجدوا جثة قتيل ملقاة في حقل ولا يعرفون القاتل عمدوا الى اقرب القرى فياتون بشيوخها ليغسلوا جميعهم ايديهم فوق راس القتيل ويثبتون بذلك براءتهم . كما ورد في سفر التثنية حيث نقرا اصحاح ٢١ عدد واحد (وكانوا يغسلون ايديهم ويصرخون ويقولون ايدينا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصر فيغفر لهم الدم) ومن التراكيب الفصيحة الشائعة في العامة (اغسل يدك منه) اي اقطع الامل منه او من امر من الامور . ونجد هذا التركيب في كتاب الاغاني في اخبار ابي دلامة ونسبه حيث نقرا : اتى ابو دلامة العباس بن محمد في عشر الاضحى فقال العباس : يا ابا دلامة اليس قد مات ابنك . قال : بلى قال انقصوه دينارين . قال اصلح الله الامير لا تفعل فانه ترك علي ولدين . فابى الا ان ينقصه . فخرج ابو دلامة وهو يقول :

اخطاك ما كنت ترجوه وتامله . فاغسل يديك من العباس بالياس

ومن عادة العوام كذلك ان يبسملوا قبل الاكل والبسملة عند المسلمين قولهم (بسم الله الرحمن الرحيم) وعند النصارى قولهم (بسم الاب والابن والروح القدس) ويدعون للمؤكلة بقولهم (بسم الله) وتقديره شاركنا في الطعام وقل معنا : بسم الله . وتلفظ باسم الله لاما غير ممدودة وحذف لاه هكذا باسم اللا . وفي الحديث عن عائشة (قال رسول الله اذا اكل احدكم فليذكر اسم الله فان نسي في اوله فليقل باسم الله اوله واخره) ويقولون ايضا في الدعوة للمؤاكلة (جابرنا) اي اجبر بخاطرنا وكل من زادنا . وفي ذلك ينادي بعض الباعة الجوالين (جبر الخواطر على الله) وكذلك يقولون للزائر اذا اتاهم وهم ياكلون (مالحنا) ويقصدون بالمالحة المؤاكلة . والمؤاكلة في نظرهم تكسب المحبة والصداقة . ومن العبارات التي يرددونها قولهم (بيني وبين فلان خبز وملح) اي عهد صداقة . وعبارة (ميثاق الملح) واردة مرتين في الكتاب المقدس المرة الاولى في سفر العدد ص ١٨ عدد ١٩ (قال الرب لهرون جميع رفائع الاقداس التي يرفعها بنو اسرائيل للرب اعطيتها لك ولبنيك وبناتك معك حقا دهريا ميثاق ملح دهريا امام الرب لك ولزرعك معك) والمرة الثانية في سفر الاخبار الايام الثاني ص ١٣ عدد ٥ (وقام ابيا على جبل الصمارايم وقال اسمعوني يا يربعام وكل اسرائيل اما لكم ان تعرفوا ان الرب اله اسرائيل اعطى الملك على اسرائيل لداود الى الابد ولبنيه بعهد ملح) وكتاب عزرا يوضح المعنى المقصود من هذه العبارة حيث نقرا في سفره ص ٤ عدد ١٤ بان السامريين لما ارادوا ان يثبتوا امانتهم الى ارتخشستا الملك ارسلوا اليه كتابا قالوا له فيه : (اننا لم ننس ابدا الملح الذي اكلناه في قصرك ايها الملك) ومن العبارات التي نرددها الى يومنا قولنا (اني اقسم لك بالخبز والملح الذي بيننا) اي قسما محرجة . وما زال عرب البادية لليوم عندما يريدون ان يعقدوا محالفة او عهدا ياخذ كل من المتعاقدين لقمة خبز ويغمسها في الملح ويتبادلان اكلها . وهذا الاتفاق المتبادل هو في نظرهما غير قابل الانفصام فالذي لا يرعى حرمته يعد خائنا ويعيرونه بقولهم (ملحه على ذيله) والظاهر ان فكرة الامانة المقرونة بالملح في مثل هذه العهود متاتية من ان الملح يحفظ الصداقة كما يحفظ المواد الحيوانية والنباتية من الفساد .

ومن شيم اللبنانيين حبهم للقرى واحتفالهم بالضيف . فهم لا يقبلون عذرا لمن لا يشاركهم طعامهم . وقد يحسبون ذلك انتقاصا من قدرهم . ولا بدع فاقراء الضيف سجية في العرب اصيلة . فقد كانوا يتبارون في اطعام الطعام ونحر الابل . وقيل ان اول من قرى الضيف ابراهيم الخليل . ففي القرآن الكريم سورة الذاريات ٢٣ (هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما . قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال : الا تاكلون) ومن حديثه ان قيل له : بم اتخذك الله خليلا فقال : لا تغديت ولا تعشيت الا مع

ضيف . وقال النبي : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره .

ومن عادة اللبنانيين دعوة الضيف الى الاستزادة من الطعام فاذا وجد صاحب البيت على المائدة لقمة دسمة فلا يتورع من اخذها باصابعه وعرضها على ضيفه . وربما وضعها في فمه زيادة فى الاكرام . واذا استحيا يقول له (الاكل على قدر المحبة) ويمازحه بقوله (اكلة وانحسبت عليك كل وبحلق عينيك) واذا شبع عاود وحلف عليه ان ياكل . ومن اقوالهم التي جرت على السنة العوام لبيان تاثير الجوع (عند البطون ضاعت العقول) و (اللي بياكل على ضرسه بينفع بنفسه) و (من اكل وبان عليه ما كثير عليه) او لا اسفا عليه . وقولهم (كاد الطعام يخرج من مناخيرنا) اي من انوفنا لفرط ما استطيبوا الطعام واكلوا منه . وهذا مثل قولهم (لحوس صابيعه) اي لعق اصابعه لشدة اشتهائه الطعام والمثل مشتق كما يلاحظ من عادة تناول الطعام بالاصابع .

ويقولون فى اداب المائدة (اذا حضر الطعام بطل الكلام) و (لاسلام على الطعام) لان السلام فى عرفهم يجر الكلام . . ويالف اللبنانيون السكوت عند الطعام وكثيرا ما يقول الاباء لاولادهم (لا تحكوا على المائدة الملائكة حاضرة بيخنقكم الله) وقرات فى بعض كتب الادب ان الفرس كانوا اذا حضر الطعام لزموا الصمت وقالوا ان الطعام صلاح البدن فيجب على المرء ان يتفرغ له بجميع جوارحه . وفى نقيض ذلك قالت العرب فى امثالها (تمام الضيافة الحديث عند المؤاكلة) رواه الابشيهي .

ويعالج اللبنانيون الاطعمة بالتوابل ويكثرون من شرب الماء القراح واكل الخبز ويستعينون على اثارة قابليتهم بالتهام البصل والفجل واللفت المكبوس والخيار والباذنجان والملفوف واشباه ذلك من المقبلات . ومن عادتهم عند نهاية الطعام ان ياتوا بالطست والصابون ويصبوا الماء في الابريق وينشفوا ايديهم بفوطة من القماش ثم يجلسون لشرب القهوة وتدخين السكاير او النارجيلة (الاركيلة) ويعربون عن ارتياحهم بعد الشبع بقولهم « بطن ملان كيف تمام » والكيف فى لغة العوام الانشراح .

ويدخر اللبنانيون المؤن فى بيوتهم . ومن الانواع الخاصة التي يدخرونها الزيتون الاخضر والزيتون الاسود والجبن الابيض والقريشة واللبنة (وهو اللبن الشديد او المقطوع) ينقعونه بالزيت اكرا كل منها بحجم الجوزة . ورب الرمان (والرب بالفم ما يطبخ من الرمان) ورب البندورة والقورما وهو لحم مذوب ومقدد ويحفظ فى دهنه بالخوابي ليؤكل فى خلال فصل الشتاء . وقد تعودت كل اسرة قروية ان تعلف خروفا فى الصيف وتذبحه فى اوائل الشتاء لهذه الغاية . ويدخرون الكشك وهو طعام يتخذ من نقيع البرغل باللبن بعد اختماره فيفت ويطبخ . وكذلك الدبس والحلاوة والبرغل وما شاكل .

ويهيء اللبنانيون العجين فى بيوتهم ويرسلونه الى فرن الحي لخبزه فيطوف صانع الفرن كل صباح على البيوت ويسال اصحابها : يا بيت فلان عاجنين ؟ فيناولونه مرقوق العجين مصفوفا فى اطباق من خشب او قش ليرجعها لهم مخبوزة . هذا فى المدن اما فى قرى الجبل فيخبزون العجين على التنور . وهو عبارة عن موقد يصنعون فوقه ساجا على هيئة نصف دائرة ويشعلون تحته عيدانا يابسة حتى اذا حمى يلصقون على جداره الخارجي مرقوق العجين بواسطة وسادة او باليد المجردة الى ان ينضج ومتى نضج يرفع ويلصق غيره مكانه . وكثيرا ما يشاهد المتجول فى انحاء الجبل القرويات حول التنور تحت خيمة من القزاز بجانب الدار ويقمن بهذا العمل . واحدة ترق العجين والثانية تصفه على الكارة ثم تلصقه على جدار التنور . وحول التنور يجتمع عادة نسوة الجيران كما يلتقي فى فرن الضيعة نساء القرية حيث تدور الاحاديث السياسية واخبار الخطوبة والطلاق والزواج وما يروج من الاشاعات. والخبز من اقدم الاطعمة التي صنعها الانسان واشتركت جميع الامم فى اتخاذه طعاما اساسيا يؤكل مع غيره من صنوف الاطعمة انما اختلفوا فى طريقة صنعه والطريقة القديمة التي كانت متبعة فى تحضيره هي الطريقة الجارية عندنا فى يومنا الحاضر . واكثر عمل الخبز وصنعه ان لم نقل كله من اعمال ربات البيوت . كما كان الحال فى الاعصر الاولى حيث نقرا فى سفر اللاويين ص ٢٦ عدد ٢٦ (وتخبز عشر نساء خبزكم فى تنور واحد) وقد عثر المنقبون فى قبور القدماء فى مدينة جبيل (لبنان) على بقايا ارغفة مستديرة على شكل ارغفتنا وقد ذر عليها مسحوق بعض البذور كما يذرى حب السمسم او البقم على الخبز . وفى التوراة اشارات كثيرة الى انه كان فى كل بيت تنور خاص لصنع الخبز .

واكثر ماكل اللبنانيين عربية وتركية وفارسية وارامية كما يظهر من اسمائها وانواعها وقد مهروا فى طبخها واختصوا باكل (الكبة) وهو طعام من البرغل واللحم يدق بجرن مخصوص ويؤكل نيا او مشويا او مقليا بالزيت او السمن . و (المجدرة) وهي من الرز والعدس وقد تكون من البرغل والعدس وسميت المجدرة بهذا الاسم لانها تشبه اثار الجدري فى الوجه و (الرشتة) وهي فارسية بمعنى الخيط وتصنع من العجين المفتول والعدس و (ورق العنب) وهي ورق العريش المحشي بالرز واللحم المفروم وتسمى فى اللغة التركية (يبرق) بمعنى ورق الشجر . و (الغمة) وهي طبخ راس الغنم ونحوه مع الكراعين اي القوائم . و (الكرش) المحشي باللحم المفروم والرز . و (التبولة) وهي من البرغل ومخلوط البندورة والبقدونس والنعناع والبصل المفروم . وتؤكل مع ورق الخس او ورق العنب او الملفوف ويسميها الاجانب (سلطة لبنانية) و (الشيش برك) وهو طعام من العجين باللحم مع

اللبن المطبوخ . و(المحشي) وهي حشي الكوسا والباذنجان او القرع بالرز واللحم المفروم . وقبل ان يعرف اللبنانيون الرز كانوا يحشون المآكل باللحم المفروم والصنوبر واللوز والجوز . و (الفول) وهو من اطعمة الصباح عندهم . وكذلك الحمص المدقوق المخلوط بالطحينة والحامض . ومن مآكلهم (المغربية) وهي العجين المصنوع حبات صغيرة يهبلونها على النار ويخلطونها بالحمص والبصل وقطع اللحم و (اللحم بعجين) وهي فطائر محشوة باللحم ومخبوزة بالفرن . و (الفريك) وهي المفروك من حب القمح المشوي وهو اخضر . ويستطيب اللبنانيون الزعتر فياكلونه فى الصباح مع زيت الزيتون النيء ويفتحون به قابليتهم ويصنعون منه (مناقيش) وهو عجين يدلك بالزعتر والزيت ويرسل الى الفرن . والزعتر نبتة معطرة تدق فتصبح ناعمة ثم يضيفون اليها بعض الملح والسماق لكي تكتسب الحموضة التي يرغبها العوام . ويزعم بعضهم ان اكل الزعتر يزيد فى قوة الحافظة .

ومن مآكلهم المعروفة (مسبحة الدرويش) وهي قطع من الباذنجان والبندورة والبطاطا واللحم بقدر الجوزة والبصل وتطبخ فى صينية بالفرن . و (البابا غنوج) وهي من الباذنجان .

ومن طريف ما يروى فى هذا الصدد ان الامير بشير الشهابي كان يستطيب الباذنجان وكان له طاه طلق اللسان ، سريع الخاطر فقال له يوما : اني سمعت عن لسان الحكماء ان اكل اللحم يكثر الشحم حول القلب فيضعفه ويؤذي المفاصل . وان لا دواء لهذا الداء سوى التغذي بالخضر ولذا كثيرا ما ادخلها فى طعامي وانا افضل الباذنجان على جميعها فما عساك تقول فى مآثر الباذنجان ؟ فهز الطباخ راسه موافقا وكان كلام الامير اصاب ما يفكر به فانبسطت اساريره وقال الحق معك يا سعادة الامير فالخضر اخف الاطعمة هضما والباذنجان الذها طعما واكثرها فائدة فهو يؤكل مقليا ويؤكل مشويا ويؤكل مطبوخا ويؤكل محشيا ويؤكل بالزيت ويؤكل بالسمن ويؤكل مكبوسا بالخل وبغير ذلك . والباذنجان لحم بلا عظم ، سمك بلا حسك ، وقد قيل فيه ... فقاطعه الامير وقال له مداعبا : ولكني اكلت منه مرة فاصابني مغص ازعجني نهارا كاملا فتوقف الطباخ قليلا وقال : (خوش) (1) يا سعادة المير اذا توسعنا فى الامر نرى ان الباذنجان يضر بعض الاحيان قطع الله عمره فهو اسود سود الله وجهه ، انه اعوج ريح بلغم حام يزعج المعدة لعسر هضمه ويحدث المغص ويدوخ الراس ولهذا قالت الشيوخ ... وهنا فرغ صبر الامير بشير والتفت الى الطباخ وقال : ويحك انك لم تثبت على راي واحد فى كل ما ذكرت فاجاب الطباخ : انا يا مولاي عبد الامير لا عبد الباذنجان... فضحك الامير والتفت لحاشيته وقال : ليس هذا طباخا بل سياسي ماهر ...

(1) خوش كلمة تركية بمعنى طيب .

ومن اشهر حلوياتهم (المهلبية) وتعمل من الحليب المطبوخ المحلى بالسكر . وقيل انها تنسب الى المهلب ابن ابي صفرة بن الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة ٨٣ هجرية و٧٠٢ م. و (الخشاف) وهو نقيع الزبيب يؤكل بمائه . و (التين المطبوخ) بالسكر المطيب بالجوز والسمسم . و (الحلاوة) وتصنع من عصير السمسم والطحينة والسكر وقد تأسس اول مصنع لها فى بيروت سنة ١٨٧٤ و (المغلي) وهو طبخ دقيق الرز بالسكر والقرفه . ويرش عليه قلب الجوز واللوز والصنوبر والبندق والفستق ويقدم في مناسبات الولادة وفى ذلك يقولون (ان شاء الله بناكل مغلي عندكم) ويقصدون التمني بان يرزق الله المخاطب مولودا . و (الدبس) وهو سائل كثيف وحلو وناتج من غليان عصير العنب او الخروب وهو المشهور ويؤكل دبس الخروب ممزوجا بالطحينة المصنوعة من السمسم وهو طعام الفلاح المفضل وفى ذلك يقولون (نزل الفلاح على المدينة ما استحلى الا الدبس بالطحينة) ويستعمل الدبس بدلا من السكر والعسل فى صنع بعض الحلويات ويتهادى اللبنانيون الدبس ويرسلون منه الى اقربائهم البعيدين . وذلك مثلما كان يحدث قديما حيث نعلم من سفر التكوين ص ٤٣ عدد ١١ ان ايوب اهدى ليوسف فى مصر من جملة ما اهداه دبسا . وجاء فى امثال العوام (بيلحس الدبس عن الطحينة) . ويضرب للداهي فى الامور . ومن حلويات العوام (الحريرة) وهي نوع من الشوربا تصنع من الطحين والسكر والدبس وتؤكل عادة فى الصباح . و (الخبيصة) وهي نوع من الحلواء تعمل من الحليب والنشا والدبس او السكر يخبص بعضه بعضا . و (التمرية) وهي من رقاق العجين المحشي بمعجون السميد والمقلي بالسيرج . و (القطايف) وهي فطائر محشوة بالجوز والسكر او القشطة وتؤكل مقلية ونيئة ومغموسة بالقطر . وفى ذلك يقولون (لا تاكل القطايف الا بالقطر طايف) و (العوامات) و(المشبك) وهو عجين مفتول محلى بالسكر ويقلى بالسيرج و (المفتقة) وتصنع بالرز المطبوخ بالسكر والعقدة الصفراء .

ومواسم المآكل فى نصف شعبان (المشبك) و (الحلاوة الجزرية) وفى عاشوراء (الهريسة) وفى اربعاء ايوب (المفتقة) وفى عيد البرباره (القطايف) وفى راس السنة (اللبن المطبوخ) ويقال له (لبن امه) وفى الولادة (المغلي) وعند ظهور اسنان الطفل (سنانية وقمح) وفى عيد الفصح والاضحى والفطر (المعمول) واشتهر اهل بيروت بصنع (البقلاوة) و (الكنافة بجبن) كما اشتهرت مدينة صيدا بالغريبة (السنيورة) وطرابلس (بحلاوة الجبن)و (المفروكة).

وللبنانيين المام بمنافع الاطعمة ومضارها ولذيذها وتافهها فيقولون (رطل نجاص باقة لحم) وتقديره يعادل . ويضرب فى منافع النجاص . ويقولون (كل من الفجل الورق ومن اللحم المرق ومن السمك الشلق) و الشلق طائفة من الاسماك رخصة العظم ويقولون (قشر التفاح

ولو اشتريته بمية وكول الخيار بقشره ولو بمصرية) والمصرية البارة والمعنى واضح . ويقولون (البندورة نية دم ومطبوخة سم) ويضرب فى منافع البندورة النية ومضار المطبوخة . ويقولون (شبر من اللة ولا ذراع من المرقوق) اللة بالضم الخبزة المنضجة والمرقوق من الرقاق بالفتح الخبز المنبسط الرقيق ويضرب المثل فى المفاضلة وفي امثال المولدين (شبر من الية خير من ذراع من رية) رواه الميداني . ويقولون (رز بحليب كل ما برد يطيب) الرز بحليب رز مطبوخ بالحليب والسكر وهو من الاكلات اللبنانية المعروفة ولا يؤكل الا باردا . ويقولون (البلد اللي تصلها كل بصلها) وقد ذكرت شرحه فى امثال اللبنانيين عن العمر بعدد الاديب شهر مارس الماضي. ويقولون (الحامض اليم والمر حكيم والحلو حليم) اليم معناه مؤلم ويكنون بالمثل عن حب الحموضة وفائدة المرارة .

ويقولون (لا تدخل بيت الظنان ولا تاكل زاد المنان) المنان الذي يعطي شيئا ويمتن به على من اعطاه . والظنان الذي يسيء الظن والتهمة ويضرب المثل فى التحذير من مصاحبة الاثنين . ويقولون (حط زيتاتنا على سليقاتنا) السليقة ما سلق من البقول ويضرب للتوامق . ويقولون لخالي الوفاض يتظاهر بالعظمة والثراء (خبزه بلا ادام ويبعزم الجيران) رواه الابشيهي فى المستطرف . وهذا مثل قولهم (لباس ما عنده دكته باربعتش). والدكة كلمة محرفة صوابها التكة وهي رباط السروال من الاعلى واربعتش يعني اربعة عشر مصرية وتدل على غلاء ثمنها وكانت فيما سلف ملبوس الاثرياء .

ويقولون فى النهي عن الافراط والتحذير من سوء العاقبة (اللي بكبر لقمته بغص) وغص بالطعام والماء ما اعترض فى الحلق من ذلك فمنعه التنفس

ويقولون (اكل ومرعى وقلة صنعه) ويضرب للعاطل عن العمل ولمن ينال خيره بسهولة من غير تعب .

ويقولون (طبخ النزاد وحكي المعاد ماله زباد) اي لا فائدة منه وقيل مكتوب فى التوراة (لا يعاد الحديث مرتين) وعن الزهري قال : اعادة الحديث اشد من نقل الحجر .

ويقولون (ساعة البسط عمرك لا تفوتها وان جاعت النفس بايش ماكان قوتها) والبسط فى لغة العامة السرور ويضرب المثل فى ترك هموم الدنيا وتلمس وسائل السرور ولو على حساب بالماكول. ويقولون لمن لا ينسى مساءة المسيء (كيف بدي انساكي يا سفرجلة وكل عضة بغصة) ويكنون عن السفرجلة هنا المراة الشريرة التي لا ينقطع شرها.

ويقولون (عزيمة بتخلق الثياب وعزيمة من وراء الباب وعزيمة بتنطق الكلاب) والعزيمة الوليمة ويضرب فى وصف الولائم الثلاث فالاولى تتميز بالسخاء بحيث ان المعزومين امتلئوا بالطعام فانتفخت بطونهم وتخذقت ثيابهم والثانية تتميز بعدم الاعتناء وتتميز الثالثة بحقارة ما يقدم فيها من الاطعمة . ويقولون (مش اصل اكل الخروب اصل تصريفه)

واصله ان رجلا استطيب الخروب لحلاوته فطفق ياكل منه حتى امتلأ واصابه امساك فسار به المثل ويضرب فى فائدة الثاني فى استحصال الحاجة .

ويقولون (الدجاج ما بتهدس الا فى الغربلة) هدس اي فكر ويعنون ان كل انسان يفكر بمصلحة نفسه وهذا مثل قولهم (حلم الدجاج فتافيت) والفتافيت اي فتات الطعام. وقيل : سالوا رجلا جائعا : ما عدد ايام الشهر ؟ فقال : ثلاثون رغيفا . . .

ويقولون (طعامك ما جاني دخانك عماني) رواه الابشيهي فى المستطرف ويضرب لمن يعد ولا ينجز ويقولون (البردان والجوعان والفزعان ما بيجيهم نوم) ويضرب فى الاستشهاد على الارق ويقولون (كثرة الكلام عن العسل لا تجلب الحلاوة الى الفم) ويريدون ان العبرة بالافعال لا الاقوال ويقولون (خبز وزيتون اطيب ما يكون) ويضرب فى القناعة باليسير والرضى بالواقع وما يصحبه من راحة البال .

ويقولون (كل لوز والعن الجوز) ويضرب فى تفضيل اللوز على الجوز واللوز شجرة معروفة قديما بثمرها المستطاب وهي من الاشجار الباكرة فى الازهار كما يستدل من معنى اسمها فى العبرانية (اي مستعجل)

ويقولون (يا ترمس احلى من اللوز ضحك على ولاد الصغار) واصل المثل من نداء باعة الترمس فى وصف طيب بضاعتهم ليهرع لمشتراه اولاد الحي . والترمس من نوع البقول حبه مفرطح ويؤكل بعد معالجته بالنقع وانما يقال هذا المثل عندما ينسب الكذب او الخداع الى القائل . ويقولون (الشبعان يفت للجوعان) ويضرب فى الحث على المساعدة ومثله قالت العرب (الشبعان يفت للجائع فتا بطيئا)

ويقولون (ناس اكلوا دجاج وناس وقعوا بالسياج) ويضرب فى تفاوت الحظوظ ولمن تكسب وزالت نعمته ويقولون (شيء بضر المعدة ولا ينفع الاعداء) ويضرب للاناني يسعى فى مصلحة نفسه . ويقولون (الدبان بيعرف وجه اللبان) ويضرب للطفيلي . ويقولون (مفتاح الشر كلمة ومفتاح البطن لقمة) ويضرب للامر الصغير يتولد منه الامر الكبير وهذا مثل قولهم (قليل من الخمير يخمر العجين كله) و (اصل الشر شرارة) وقال الشاعر العربي :

لا تحتقرن صغيرا في عداوته ... فمعظم النار من مستصغر الشرر .

ويقولون (من ذكرني بعظمة كنت عنده عظيم) ويضرب فى الحث على حمد من احسن اليك . ويقولون (طعمي التم بتستحي العين) التم اي الفم بلغة العوام . ويضرب المثل فى الحث على الاحسان للناس لامتلاك قلوبهم وفى بذل الهدية لذوي السلطان لقضاء الحاجات وفى ذلك قالت العرب (اللقم تدفع النقم) النقم جمع نقمة . ومما يدل على شيوع عادة التهادي عند العرب قولهم (تهاديتم الاطباق ولم تهادوا النصائح) .

ويقولون لمن يقدم على الخطير ويحجم عن الحقير (شرب

البحر وغص بالساقية) . ويقولون (على حجة الورد بيشرب العليق) والعليق نبت ينبت حول شجر الورد غير انه اطول شوكا وثمره شديد الحمرة كثمر التوت . ويضرب المثل لفقير يرتع من نعم الغني .

ويقولون (كثرة الطباخين بتحرق الطعام) ويضرب في ذم تعدد الشركاء لاختلافهم وتشعب ارائهم ويريدون انه كلما كثر عدد الشركاء كثرت بينهم الخلافات . ويقولون (دود الجبن منه وفيه) ويروى (دود الخل منه وفيه) وكذلك (دودو من عودو) وعودو اي العود اي لكل شيء آفة من جنسه . ويقولون (اللي بتحطه بالقدرة بتشيله بالمغرفة) يعني مثلما تعامل الناس يعاملوك والجزاء من جنس العمل وكما تزرع تحصد ويضرب في الحث على فعل الخير والتبصر في سوء العاقبة .

ويقولون (الطويل بياكل تين والقصير بيوقف حزين) ولعلهم يعنون بالطويل ههنا القوي القادر والقصير اي الضعيف ويضرب مثلا للرجل ياخذ حقه بالغلبة . ويقولون (الوردة ما بتشبع لكن بتطيب المنافس) المنافس في لغة العوام الانفاس ويعنون اذا فاتك الشيء الكثير فالجأ الى القليل الموجود . ويقولون (اللي بياكل عيش السلطان بيضرب بسيفه) ويضرب في الحض على عدم الجحود ويقولون (باكر بالغداولا تتماسى بالعشا) كذلك قالت العرب (خير الغداء بواكره وخير العشاء بواصره) ويعنون بكلمة بواصره ما يبصر فيه الطعام قبل هجوم الظلام رواه الميداني . وفي نقيض ذلك قالوا (من اخر الاكل لذ طعامه) ويريدون ان الانسان اذا طال جوعه كثرت شهيته ويقولون (ما بقرقع بالدست الا العظام) ويضرب للرجل الذي يكثر الكلام ولا يفعل . كذلك قالت العرب في امثالها (اسمع جعجعة ولا ارى طحنا) والجعجعة صوت الرحى والطحن الدقيق . ويقولون (هالحجة ما بتقلي عجة) العجة طعام من بيض ودقيق وسمن او زيت ويضرب في تهجين حديث لا طائل تحته .

ويقولون (رغيف برغيف ولا يبات جارك جوعان) وتقديره اقترض رغيف خبز من جارك ولا تدع ضيفك يبات جائعا . ومن عادة العوام ان احدهم لا يجد حرجا في اقتراض الخبز من جاره اذا اتاه ضيفا متاخرا في المساء . فيقوم الجار بتلبيته عن طيب خاطر . وكانت هذه العادة شائعة في الازمان القديمة في بلادنا حيث نقرا في سفر لوقا ص ١١ عدد ٥ (ثم قال لهم من منكم يكون له صديق ويمضي اليه نصف الليل ويقول له يا صديقي اقرضني ثلاثة ارغفة لان صديقا لي جاء من سفر وليس لي ما اقدم له) ثم ان هذه العادة لم تعد مقتصرة في وقتنا الحاضر على استعارة الخبز بل كثيرا ما نرى البعض يعيرون جيرانهم لباس العرس والحلى ليستعملوها كسوة للعروس ليلة زفافها . ومن باب التحفظ يقولون (ضيف المسا ما له عشا)

ويقولون في الاخذ بالحزم ومهاجمة عدوك قبل ان يهاجمك (تغداه قبل ما يتعشاك) ويضرب ايضا في اغتنام الفرص . واصل المثل من الفصحى (تغدوا الجدي قبل ان يتعشاكم) و (تغد بالحجاج قبل ان يتعشاك) وهي عبارة قيلت لعبد الرحمن بن الاشعث يوم خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق

ويقولون (قرفته حلوه) والقرفة نوع من العيدان العطرة يستعمله بعض العوام في الشتاء مشروبا ساخنا كالشاي ومصدر هذا الاستعمال حلقات الذكر . وقد جرت العادة ان يقدم فيها للضيوف مشروب القرفة وتقديمه دون نظام واتقان فالقرفة تصنع على عجل وتقدم حيثما اتفق فهذا ينال فنجان سكره قليل وذاك سكره كثير وغيره قرفته حلوة واخر غير حلوة . وحينما يشلل السامرون يتحدثون عن صاحب الدعوة ويذكرون نوع القرفة التي قدمها فيصفها كل واحد حسبما ذاقها في فنجانه وتحول المعنى مع الزمن من المذاق الحسي الى المذاق المعنوي فاصبح الناس يصفون من يستلطفونه او من هو لطيف المعاشرة بان قرفته حلوة .

ويقولون لمن يرجع الى طبعه وخلقه (الفلاح فلاح ولو تعشا العصر) . ويقولون (خربت جونيه) وجونيه بلدة تقع في الشمال من بيروت وعلى بعد ١٧ كيلو متر منها واصل المثل فيما يقال ان جونية كانت مرفا لبنان في عهد المتصرفية نطفت مياه البحر في بعض السنين وخربت ما في مستودعاتها من مؤن وارزاق فجاع اهلها وصار كلما جاع احدهم واشتد جوعه يرمز الى هذه الحادثة التاريخية ويقول : خربت جوني . وهذا كقول العرب (صاحت عصافير بطنه) و (نقت ضفادع بطنه)

ويقولون (تضربني بالمرحتى تهينني عند طلوع الروح تلقني عسل) يقوله انسان لاخر يناهضه ثم لا يلبث ان يحسن معاملته . ويقولون (خبز الرجال على الرجال دين اما على الانذال فصدقة) ويعنون ان الكريم يابى الذل والخنوع في فقره وحاجته وان اللئيم لا يانف الذل . ويقولون للمحروم الجائع يؤتمن على ماهو محتاج اليه (كيف ينام البدوي والعسل فوق راسه) ويقولون (كبرت يا عدس سموك مرجمك) هذا المثل لبعض القرويين قيل انه سافر ذات يوم الى استنبول فدخل احد المطاعم لياكل فقدموا له قائمة الطعام فوقع نظره على اسم (مرجمك) فاعجبه الاسم ظنا منه انه طعام جديد ولذيذ فطلبه ولما تامله علم انه عدس مطبوخ كالذي تعود ان ياكله في قريته فعافت نفسه منه وقال هذا القول ويضرب للشيء الحقير يلقب بلقب الكبير او العظيم .

ويقولون (قال الحلو انا بحلي قال الماء انا ما بخلي) ويضرب في التفاضل بين شيئين وقريب من هذا قول الشاعر :

اكلت كنافة وشربت ماء   كاني لا اكلت ولا شربت

ويقولون لمن اساء الى من احسن اليه (اكل الهدية وكسر الزبدية) والزبدية وعاء من خزف يستعمل لحفظ المؤن . وفي النهي عن ذلك يقولون (لا تشرب من بير وترمي فيه

حجر) و (لا تاكل الثمر وتسب الشجر) ويقولون (زاد اثنين بيكفي ثلاثة) اي ان بركة الطعام المهيأ لرجلين يكفي ثلاثة وهذا نقيض قولهم (زاد اللي بيكفي اثنان واحد احق فيه) ويضرب في الطمع وقالت العرب (طعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الثلاثة يكفي الاربعة) رواه الجاحظ في البيان والتبيين . ويقولون في الحث على بلوغ الكمال (اذا ضربت اوجع واذا اطعمت اشبع واذا تكلمت اقنع) ويقولون (اضرب بالسيف تتامر واطعم خبز تتمشيخ) تتامر اي تصبح اميرا وتتمشيخ اي تصبح شيخا والشيخ وجمعها مشايخ طبقة من طبقات الاسر اللبنانية المعروفة قديما في الوجاهة والمنزلة وتاتي بعد الامراء اي الحكام .

ويقولون (فوت زيارة مصر ولا تترك قهوة العصر) والقهوة مشروب اللبنانيين المفضل . وهو شراب البن ذو رائحة زكية وينسبون اكتشاف خاصيته الى راع من رعيان عرب اليمن قيل انه لاحظ ذات يوم ان قطعانه تاتي بحركات مستغربة حين تاكل من ثمر شجر البن . ومن اساطير العرب انه وجد في الحبشة خلال العصور الاولى للمسيحية دير كان رئيسه يشكو من ان رهبانه لا يستيقظون في الليل الا بصعوبة لتادية الصلاة وذات يوم جاءه جمال واخبره ان في الجبل القريب من الدير ثمر شجر فيه خاصية تمنع جماله من النوم بعد اكله . فارسل رئيس الدير في طلب الثمر وغلي الحب واعطى الرهبان فشربوا منه فصاروا لا ينامون الا بصعوبة . ومنذاك الوقت انتشرت عادة شرب القهوة. ويطلق العوام اسم القهوة على الموضع الذي يكثر فيه شربها . وسمته العرب (كحول العقلاء) ويضرب المثل في مدح تعاطي القهوة .

ويقولون في اجتناب اللم والشر (ما تاكل توم ما بتطلع ريحتك توم) ويقولون لمن ابطا ثم اتى بشيء فاسد (صام سنة وفطر على بصلة) رواه الابشيهي في المستطرف وقديما قالت العرب في معناه (صام حولا وشرب بولا) و (غاب شهرين ثم جاء بكلبين) و (سكت دهرا ونطق كفرا) و (سكت الفا ونطق خلفا) اي سكت الف سكتة لم تكلف بخطأ رواه الميداني . ويقولون (ما في حلاوة الا في بعلبك ؟) ويريدون ان الشيء المليح ليس وقفا على بلد دون اخر ولا على رجل دون اخرين . وقد اشتهرت مدينة بعلبك قديما باتقان صنع الحلواء . ويقولون (اذا فاتك اللحم عليك بالمرق) ويريدون اذا فاتك الشيء الكثير او الثمين فاقنع باليسير وقالت العرب في امثالها (اذا عدم الدجاج كل الاجاج) والاجاج ضرب من السمك رخيص الثمن . وقال تعالى (فان لم يصبها وابل فطل) .

ويقولون لمن يلح في الشيء (بصلته محروقة) كالطباخ يسرع في قلي البصل فيحرقه ويقولون (كل من عودته على اكلاتك كلما نظرك بيجوع) ويضرب في تاصل العادة وتحكمها في الخلق . ويقولون (اكل فول ورجع للاصول) ويضرب في منافع الفول . ويستعمل اللبنانيون هذا النبات طعاما وخاصة في الصباح وياكلونه مجففا كالفول المدمس ويعتقدون انه مغذ ومقو للجسم ومفيد للانسان في حالات مرضية عديدة . ولذلك يسميه بعضهم (مسامير الركب) وقرأت في بعض كتب الادب ان بلدا اشتهر بزراعة الفول كما اشتهر اهله بالسخافة فدخله ذات يوم احد الغرباء فاخذ اهله يعددون له ماثر الفول فعجب من التناقض الحاصل بين فوائد الفول وقلة عقول اهل البلد فسالهم عن سر ذلك فقال له احدهم : لولا الفول لطارت عقولنا . . .

ويقولون (لولاك يا كمي ما اكلت يا تمي) والكم مدخل اليد او مخرجها من الثوب والتم اي الفم وهذا المثل يروى عن رجل اغتنى بعد فقر فطفق اهل قريته يتنافسون في اكرامه ودعوته الى موائدهم فاولم له احدهم يوما وليمة دعا اليها وجوه البلدة ففطن الرجل الى ان كل التقدير الذي يلقاه من مواطنيه انما يعود في الاصل الى المال الذي يملكه وانه لولاه لما اكرموه وان الرجل مهما علا قدره فلن يبلغ مكانة التمجيد بغير المال فلما جلس الى المائدة امسك بطرف كمه وغمسه في الصحن على مرأى من جميع المدعوين وقال (لولاك يا كمي ما اكلت يا تمي) فارسلها مثلا ويضرب في تقدير الناس للاغنياء ولو كانوا اغبياء. واغترارهم بالظواهر لان المال مخدوم مقدر .

ويقولون (المي ما بتمرق على عطشان) المي اي الماء ومرق اي مر في لغة العوام ويضرب في دعوة المتاخر للمتقدم لتناول ما يقدم له من شراب . ويقولون (اكل شارب راكب) وتقديره اكل شارب على الحمار راكب ويضرب لمن يعيش منعما . ويقولون (حامض) لمن يروم الامر فاذا فاته ذمه اشارة الى حكاية الثعلب الذي نظر الى العنقود فرامه فلم يطله فقال : هذا حامض وقال الشاعر العربي :

ايها العائب سلمى ... انت عندي كثعاله
رام عنقودا فلما ... ابصر العنقود طاله
قال هذا حامض ... لما راى ان ينالـه

ويقولون (شط ريقه) للشهوان لا يذكر له شيء الا اشتهاه ويمكن تفسير هذه العبارة بظاهرة فيزيولوجية بحسب قول العلماء ان منظر الطعام الشهي اللذيذ له سبب في اثارة الامزجة المختلفة للجسم ويبعث على افراز غددي يسيل اللعاب في الفم . ويقولون (مثل شربة المي) ويضرب للشيء يدركه المرء بسهولة ويضرب ايضا في السرعة والاستعجال .

ويقولون لمن يستأثر بالمنافع ويترك المتاعب لغيره (اخذ لحمه ورمى عظمه) ويقولون (من دهنه سقي له) اي من اساء اليك فعامله بالاساءة اي من جنس عمله على غرار من يقلي اللحم بدهنه بدلا من السمن . ويقولون للمتلائمين المتوافقين (مثل السمن والسكر) ويقولون (حاف) ويكنون بذلك عن الخبز بدون ادام ويقولون للغبي (شرقوه بالملعقه) ويريدون انك تشرح للغبي كل شيء ليفهم فلا يفيد معه الشرح كالطفل الذي لا ياكل ما لم يلقنوه الطعام تلقينا

طاب واستوى الرمان

الى صاحبة الصوت الاخضر صاحبة زورونا كل سنة مرة ... الى فيروز

حديقة الرمان فرعت يا جاري
فروعها على جداري ،
وفوق داري ..
وعندما يمر فرعها ترطب النهار ،
ترطب انتظاري ..
الفرع مال مال
وراح فى دلال
يقول لي تعال لي تعال ..،
اقطف ثماري فهي ملأنه ..
تعال لي الانا
محمل الهدايا
وهات لي ما عودتنا عليه
كل عام فى الزيارة
من طرحة الرمان ..
فالصيف جاء عامنا بلا ظلال ،
بلا غلال ،
يا ماسح الاحزان ..!،
وطرحة الرمان فى البستان مزدانه ..
فهات لي نصيبي ،
وفرفط العصير يا حبيبي

من كل رمانة ..
وانت عندما تزور بيتنا
تزورني انا
– وبيتنا هجير –
تهب نسمة ترد روحي ،
تقول للاحزان روحي ،
تعال أنني على شباكي ..
والفرع مثلي ينتظر ..
تعال لي لا تقطع العاده
لا تخلف الزيارة
فانني اراك يوما فى السنه
من منذ ان هجرتنا ..
وطرحة الرمان انها الاماره
فاحمل لنا الهدايا
وذكر الفؤاد باللذي مضى
فالفرع والبستان ،
وطرحة الرمان
وفرحة انتظاري
تقول لي .. لن تخلف الميعاد ..!

القاهرة — مجاهد عبد المنعم مجاهد

بالمعقه .

ويقولون (لوسمكتلي مشمشتلك لكن حمصتلي زعترتلك) واصل المثل ان رجلا من اهل دمشق قدم بيروت فدعاه صديق له الى الغداء وبدلا من ان يقدم له السمك الذي يشتهي اهل الشام اكله فى بيروت اعد له حمص بطحينة وهي من ارخص المآكل . ثم بعد زمن عرفت للبيروتي حاجة فى دمشق فذهب اليها وزار صديقه ودعاه الى غداء فقدم له اكلة يغلب فيها الزعتر بينما كان يامل البيروتي ان ياكل مشمشية وهي من الاكلات التي اشتهر اهل دمشق بصنعها فعاتبه البيروتي على ذلك فقال له الشامي المثل ويضرب فى المكيدة واخفاء الحيلة ومقابلة الاساءة او الحرمان بمثله .

شفيق طباره

الليالي والحروف

بقلم محمود محمد كلزي

مهداة الى الصديق جان الكسان لانها جزء من حياته ، كما انها جزء من حياتي



صفر القطار لاخر مرة وتحرك .. كدت اركض الى عجلاته والجمها .. اقف فى طريقه حجر عثرة .. لا اتركه يبارح مكانه ... لكنه تحرك ... وسار .. وتباعد .. وكنت واقفا املأ نواظري منه .. لانه يحمل لي اعز صديقين .. يحملهما الى آفاق بعيدة .. بعيدة .. لكم تمنوا ان اكون معهما .. لنعيش نفس الايام التي عشناها فى المدرسة الثانوية .. ما اجملها !!. ما زلت اتمثلها امامي .. لكم وددت ان تطول .. تمتد وتبتلع بقية حياتي .. لانني كنت اتصور المصير الذي سيصادفني حينما احمل تلك الوريقة التافهة التي يدعونها « شهادة ثانوية » .. تلك الوريقة التي اكلت من اعصابنا وشربت من ماء عيوننا .. كنت اتمنى ان اركب نفس المركب الذي ركبه صديقاي .. ولكن .. اين تلك الاجنحة التي تحملني اليه .. اين تلك المقومات ؟! تلك التي يدعونها « المال » .. اين المال ؟! . وانا الشاب الذي لا يملك حتى الان الا تلك الوريقة التافهة والشباب النضير .. كنت اتمنى ان ارافق صديقي فى رحلتهما .. لاتمم دراستي العالية فى « المانيا » .. ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .. لقد ساعدهما المال .. وخانني .. خانني !!

وبقيت وحدي .. للفراغ .. للالم .. للضياع .. للحنين الى تلك الايام الجميلة .. ايام الدراسة التي ما زال بي شوق ملح اليها .. الى احلامها المجنحة .. احلامها التي احس انها تلاشت من امامي .. كما تتلاشى سحب الدخان القاتمة لتكشف للاوجه الحقيقة المرة .. وغاب وجه صديقي وراء المسافات .. كما غابت تلك الاحلام التي كنا نحوكها كلما جمعتنا جلسة سمر .. او سهرة اجتهاد .. نقتطف منها تلك الازهار الزاهية لنشم رائحتها ... ونتمتع بروائها .. حتى اذا ادركها الخريف .. ذوت .. وماتت فكفناها بالحسرة .. وغامت تلك الايام لاجد نفسي فى معترك الحياة .. الحياة التي تطلب منا كل شيء ولا تمنحنا اي شيء .. وتلفت حوالي لاجد ورائي سبعة انفس بريئة تريد ان تاكل .. ان تعيش .. سبعة يتامى .. تركهم والدهم للجوع للالام .. تركهم يأملون من اخيهم الذي سينال الشهادة ليحل محل ابيه .. ويعيلهم .. الم يقل لهم يوما : « سانال الشهادة قريبا ... واتوظف .. لاريح ابي الكهل من عناء العمل ؟ » وارتاح ابي .. اجل ارتاح .. وعلي ان اتعب .. اشقى ، كما تعب وشقي .. لنرتاح ونسعد ، لكن .. اين تلك الوظيفة التي تسكت الوحش الضاري الذي يعوي في احشائهم .. ينهش امعاءهم .. لقد قالت امي يوما :

— اخواتك صبايا .. وليس على بدنهن ما يستر عوراتهن .. لقد اكلت المناجل من ايديهن .. وهن يحصدن .. لقاء دريهمات بخسة طيلة يومين .. انا نخشى العار يا بني .. فهناك شباب يعملون معهن ، من ابناء القرية ..

العار .. يا للعار تمنيت ان تنشق الارض وتبتلعني .. ان اذوب من الوجود ... لعن الله تلك الوريقة التافهة التي لولاها لعملت عاملا .. اجيرا .. اي عمل .. ولا اترك اخواتي يعملن .. ورحت اسائل نفسي : لم لم نخلق اغنياء ؟! اذن لكنت الان فى معاهد المانيا مع اعز صديقين .. ولكنا نملك من الارزاق ما يجعلنا نعيش بيسر ريثما اتمم دراستي ؟! ولكنها الايام .. ومضيت ابحث .. لم اترك دائرة .. ولا مصلحة .. الا طرقت بابها وكنت افاجأ ابدا : « ليس لدينا شواغر » تلك اللوحة التي كانت تصفعني .. وتطردني كلما قصدت دائرة ما .. حتى اعياني البحث .. وسئمت الدوران .. وزهدت .. وكدت انتحر .. تحت كابوس تلك الجملة التي تضج فى مسمعي .. « انا نخشى العار يا بني .. » وتتلاشى لتخلف فى جدي جذوة ثورة ..

لقد تمنيت ان اعيش من تلك الكتابات التي املأ بها اعمدة الصحف تلك الهواية التي ترعرعت معي ، ورافقتني طيلة ايام الدراسة ... ولكنها اليوم تخذلني كما خذلتني تلك الوريقة التي حملتها حصاد اثني عشر عاما قضيتها مع الكتب .. وتذكرت صديقا يعمل كمدير ادارة لاحدى المجلات .. كنت اتردد عليه لاعطيه بعض نتاجي للنشر فى مجلته .. لم لا اقصده لعلي اجد عنده عملا ولو باجر زهيد .. لعلي .. لعلي .. ومضيت اليه .. انه رجل طيب ، انساني ، لم يرد ان يصدمني ، بل ترفق بعواطفي .. بمشاعري الرهيفة .. وقال :

— تردد علي .. ربما وجدته لك !..

هه .. ربما ربما .. لكن متى ؟!

المدارس الابتدائية ستفتح ابوابها، لقد مضى علي زهاء اربعة شهور دون عمل .. واخوتي .. تحتاج للغذاء والكساء .. واخي الصغير .. يلزمه بعض حاجيات المدرسة التي ستفتح. قررت ان اعمل اول عمل اصادفه .. وباي اجر .. لاسكت ذاك الدوي الذي يلاحقني .. يحطمني « انا

نخشى العار يا بني ..» لقد بليت تلك الاوراق التي احملها والتي كلفتني عدة ليرات ثمن طوابع .. وحتى الان لم تدر علي قرشا .. لم لا اقدمها لوزارة التربية والتعليم لاعمل «وكيل معلم » فى مدارسها الابتدائية .. ريثما اجد العمل المنشود .. انها فكرة سرعان ما حققتها .. ورحت انتظر تعييني .. وعينت فى احدى القرى النائية .. معنى هذا انني لا استطيع البحث عن عمل جديد عندما اناى من حلب التي ابحث فيها . والمائة ليرة التي سأتقاضاها .. لا تكفيني وحدي .. فما الذي ساوفره لاهلي !!؟ لذا استنكفت .. وكان هذا كافيا لارفض مرة اخرى .. يا للتفاهة !!.. حتى الوظائف الصغيرة تحتاج الى وساطات ، واضطررت للوساطة .. لاعين فى نفس المحافظة ورحت انتظر حتى يكون هناك شواغر !!

وخرجت العن الشهادة .. والعن الوظائف .. والعن نفسي .. والعن الاثني عشر عاما التي اكلت من اعصابي ، وشربت من ماء عيوني . ولم تجدني شيئا .. لم تؤهلني حتى لوظيفة بمائة ليرة .. وهمت على وجهي فى شوارع المدينة الطويلة .. وعيوني مشدودة الى تلك اللافتات العريضة والى تلك المحال الواسعة.. وكم فى داخلها من رجال متخمين بالمال .. وكم فيها من موظفين لا يحملون حتى شهادة « حسن سلوك» لكنها الظروف التي تخلق الرجال.. لقد كفرت بالحكمة القائلة : الرجال تخلق الظروف .. ولو كنت اخلق الظروف لكنت اليوم امثال اولئك السعداء ..

الفراغ هائل وانا تائه فى مهمه سحيق .. اكتب بحروف سوداء ما يعتمل فى صدري .. وقد صدرت احدى المجلات تحمل لي قصتي الفائزة بالجائزة .. انها اشتراك سنة فى المجلة .. وضحكت بهستيرية .. بصوت مجنون .. هذا كل ما اجنيه من ادبي .. هذه حياة الاديب عندنا : يأكل مجلات ويشرب حبرا .. ثم يريدون له الحياة.. واين له الحياة ؟! مرة اخرى قابلت صديقي مدير المجلة .. وتهلل فى وجهي.. فتفاءلت قال : وجدت لك عملا .. ولكنه .. نقاطعته : تقبله حتى ولو كان جحيما .. ولو كان دون اجر .. قال : ولكنه مضن .. مرهق .. فسوف تسهر من العاشرة حتى الرابعة !

اجل رضيت به وان كان جحيما. ودون ان اسأل عن الراتب .. كنت فى غماره اعمل بنشاط بحيوية .. ولاول مرة فى حياتي .. اشعر انني استطيع ان اعمل بجلد . .بصبر .. لقد اعتدت على صوت الساعة حين يرن لينبهني ان الساعة عاشرة .. لالتحق بعملي .. لم اعد اتمنى ان احطمها .. ان اقذف بها من النافذة كلما رنت .. وانما انهض .. لاخرج والناس يأوون الى منازلهم لينامو ا.. وينعموا بالدفء في فراشهم الوثير. اما انا فيبدا عملي .. وادخل المطبعة ليرحب بي عمالها فرحين .. حتى كدت اكره كلمة « استاذ » التي كانت تساق الي بمناسبة ودون مناسبة.. انهم ينتظرونني ليناولوني الصفحات الاولى من الجريدة .. لاصحح الاخطاء .. الاخطاء .. لعن الله الاخطاء كم اكرهها .. امقتها .. فكم شوهت لي من قصة .. وكم كسرت لي من قصائد .. وكم لعنت عمال المطبعة لكثرة ما يخطئون .. لم اكن اعرف ان هناك من يصحح الصفحات قبل الطباعة .. وهاأنذا فى مكانه .. يجب ان العن نفسي ان تركت هفوة. لا .. لن اترك . وعملت باخلاص باتقان .. حتى ندرت الاخطاء من الجريدة .. ولكنني كرهت السهر الذي كان يقرح اجفاني .

كرهت جلبة المطبعة التي ترهق الاعصاب .. فكم كنت احلم وانا اعتمد راسي على المنضدة باحلام ذهبية يقطعها عامل المطبعة بقوله : استاذ خرجت الصفحة الرابعة .. ليلقي الي بها .. بحروفها السوداء التي بت اكرهها .. حتى انني كنت اقرأها دون وعي.. دون ان استوعب فحواها .. وكم انبني صاحب الجريدة للاخطاء المستفحلة التي كانت تفلت من يدي ومن عيوني .. حتى انني مرة لم اميز بين عنوان واخر ... ليبقى عنوان احد الاخبار لخبر ثان .. وخرجت الجريدة .. لاهدد بالطرد فى اليوم الثاني .. ولكنني لم آبه بالتهديد .. لانني عينت «وكيل معلم » فى احدى المدارس .. لم اعد اهتم بالتهديدات لكنني افضل ان اعمل ليل نهار حتى اسكت النداء الصارخ فى احشاء اخوتي .. واخنق تلك اللعنة التي تلاحقني : « اننا نخشى العار يا بني» يغض النور من عيني .. عيني اللتين كدت افقد النور من احداهما منذ سنوات .. ليجف الدم فى عروقي طالما اضعه فى عروق اخوتي المساكين. ولكم هالني منظري حينما نظرت الى المرآة حتى كدت احسب انني مسلول .. وفى اخر الشهر تناولت الراتب .. بسخرية .. بازدراء .. فقد تحطم امل المائة ليرة التي كنت اؤملها من عملي الذي لا يعدله مادة. لانني كنت اسفح دمي .. اهدر صحتي على مذبحه .. ووضعت الخمسين ليرة فى جيبي وانا اوازن بينها وبين الثلاثين ليلة التي كنت اصارع فيها الحروف السوداء التي غيمت لي سواد عيني .. وامتصت بقية الدم الذي يورد جسمي .. لاغدو اصفر شاحبا .. كالمسلول !!

مائة اتقاضاها من التدريس ... وخمسون من الجريدة .. مائة وخمسون ليرة وانا اعمل ليل نهار.. وكم يتقاضى غيري المئات لقاء ساعات معدودات من عمل بسيط .. انها الظروف التي تخلق الرجال.. لا .. ليس الشهادات .. ان صديقي في المانيا .. وغدا يعودان مهندسين وانا لست ادري ما مستقبلي المظلم المبهم .. كل ما ادريه انني اعمل ليل

نهار لقاء مائة وخمسين ليرة .. تلك التي لا تعدل سهرة من السهرات التي اقضيها مع ضجيج المطبعة وراء تلك الحروف السوداء .. ولا تعادل « بهدلة » من صاحب الجريدة كلما وجد هفوة بسيطة .. حتى انني بت اغتفر تلك الاغلاط التي كانت تشوه قصصي وقصائدي .. والعن الظروف التي جعلت من الجاهل رئيس تحرير .. لكم تمنيت ان تساعدني الظروف لاصدر صحيفة تهزأ من تلك الصحف الهزيلة .. لكم تمنيت ان انشر احد كتبي التي ربما درت علي بعض المال .. ولكنه نفس الحجرة العثرة .. ساعرض على صاحب الجريدة ان ينشر احدكتبي. وعرضت المشروع .. فوافق على ان يتقاضى نصف الارباح .. ووافقته . كيف لا وانني ساشبع نزعة الشهرة والمجد اللذين اصبو اليهما .. وانا لم انكر يوما ان صنعة الحرف ستطعمني خبزا ..

وجمعت اوراق الكتاب واعددته للطباعة .. وهاانذا بجانب المطبعة وهي تدور وتقذف باوراقه .. وانا احدجها باطمئنان وسرور .. فلن يجد القارىء فيه اي خطا مطبعي لانني اصححه بنفسي .. غدا سيصدر .. سيملأ واجهات المكاتب. وسيكتب عنه كل زملائي في الصحف سيقرظونه كلهم .. الا ذلك الذي يكرهني .. ويريد ان ينال مني .. لا لشيء الا للغيرة والحقد الذي ياكل قلبه .. لكنني سافحمه بالف برهان وبرهان.. وانتهى الطبع.. واختلفت مع صاحب الجريدة على الغلاف .. انه يريده تجاريا ليزيد في ارباحه.. واريده فنيا انيقا .. واصررت على طلبي .. فصاح .. وعربد .. وازبد .. ورفع يده لشدة غيظه وحاول ان يهوي بها على راسي .. ولكنني افقت فجاة على صوت عامل المطبعة قائلا :

ــ استاذ خرجت الصفحة الرابعة !

دمشق محمود محمد كلزي

رعشة الذكرى

الى اخي شفيق حين بكى لاول مرة لما علم انها ماتت

ان كنت في يوم تسير ،
ومررت عني في الظلام ،
فانثر على قبري زهور ،
او اقرني منك السلام !.

انا يا رفيق العمر يا اسمى رفيق ،
بين اللحود تميت في قلبي اللحون
للدود هذا الجسم ، للعدم المحتم يا (شفيق)
للدود ياكله وما ترثي السنين !
الطفلة العذراء بنت الحرف في الم تموت ،
وجدائل سود يبددها ظلام اللحد يرعاها العفن ،
وصدى اغان راعشات راح يشدو في خفوت :
للقبر ، للديدان ، يسلمنا الزمن !

وعيونك الحمر اللاتي الدامعات ،
فيهن يختلط البكاء ، مع الحياة ، مع الممات
للدود هذا الجسم للعدم المحتم يا (شفيق)
للدود يا امل الحياة رفيق عمري ، يا رفيق !

الدير اقفر ، ما به الا صليب
من حوله ، قتلت سوادالليل ، رغم سواده ، نواستان
والخدر اقفر ، ما به الا الفراغ ، وحق طيب ،
قد جف ، والمشط اليموت بعودة ان حنت الجدالتان
لكنما للدود هذا الجسم للعدم المحتم يا (شفيق)
الناس للديدان ، ترعى الزهر في كل طريق !

حطم مدامعك ، انعتق ولتقبلن
مني لتذكرني خصيلة ياسمين
ما مت يا بن الحرف فاذكرني اذن
جسمي الذي قد مات من ماء وطين
والجسم للديدان ، للعدم المحتم يا (شفيق) ،
والروح تخلد بالمحبة يا رفيق !

ان كنت في يوم تسير ،
ومررت عني في الظلام ،
فانثر على قبري زهور ،
او اقرني منك السلام !!.

عمان حكمت العتيلي

اسعد رستم الشاعر الضاحك

بقلم اسكندر حريق

فلا تكاد تعرف اذا كنت تصافح ملاكا او شاعرا تصافحه في منتصف العقد الثامن من عمره هذا اذا صح التاريخ ...

ربع القامة ، حسن الهندام تقدح عيناه شررا ونورا عندما تقعان على قامة هيفاء ووجه ساحر وخصر ضامر ... انه يحب الجمال يحب في الوردة اريجها والوانها وفي الجبال اشجارها وعبير ازهارها ... يعشق الجمال حيث وجد واني كان ومهما كان ، طبيعة باهرة ، زهرة عاطرة او هيفاء ساحرة ..

له ثقة بنفسه ككل اهل الشوير (بلدة لبنانية) ، تكاد تكون اعتدادا بالنفس . فهو يحدثك عن ابلغ بيت في ديوانه فيقول كل بيت هو الابلغ .. وهو لا يعترف بانه تعلم على احد بل علم نفسه بنفسه . شويري الدم بعلبكي المولد فقد جمع الفضل من طرفيه صلابة الشوير وقوة الصخور، ونور شمس بعلبك مدينة الشمس الخالدة واضاف الى هذا الفضل شجاعة الزحلي وعذوبة نكاته اليست امه زحلية ؟ يقو لبانه ولد في سنة ١٨٧٥ ولا نستطيع ان نناقشه القول واذا جاز لنا الحكم نقول انه ولد بعد هذا التاريخ بزمان..

لم ينظم الشعر العامي ابدا ..

بدا قرض الشعر عندما كان في السابعة من عمره اذ اكمل بيتا من اصل اثنين فش بهما الوالد خلقه عندما ازعجه اولاده بصياحهم وضجيجهم اذ قال :

يحتاج كلكم الى الاصلاح   كـعرتموني في سنا وصباح
لو ساغ لي ذبح البنين ذبحتكم

فقال اسعد مكملا :

وحرقت « ديك » ايكم الذباح

هذا ما قاله اسعد منذ ثلاثة ارباع القرن . اما اخر قصيدة له فهي :

من « الكارات » عندي « الكاديلاك »   وعندي « المركيوري » و« البونتياك »
وعندي الفورد عندي الناش ايضا   يسوق جميعها « الشوفير » « جاك »
هو الملس المشعشع منه عندي   وعندي من لمين الفرو « ساكو »
واقمار من الشبان عندي   ومن احلى النسا عندي سلاك
من الخيرات عندي كل شيء   ليرقص بالغنى هذا « الشلاك »
ولكن ان يكن لي اعوجاج   ولي عمل الحرام لي اشتراك
وان يك غير مرتاح ضميري   فاطيب لي من الدنيا الهلاك

والذي يقارن بين اول شطر نظمه وبين هذه الابيات الاخيرة يرى ان خفة الروح هي هي لم يطرا عليها اي تغيير الا من حيث انها ازدادت ...

واسعد رستم شاعر لا كالشعراء من حيث انه لم يكتسب بشعره بل بالعكس دفع من جيبه اموالا تقدر بعشرين الف ريال تبرعا للجمعيات والمؤسسات التي كان يخطب في انديتها وهكذا نستطيع ان نقول بانه اعطى شعرا ومالا وهذا مستغرب في عالم الشعراء . ويقول اسعد بان العطاء مغبوط وتواضعا منه يقول بان ما تبرع به لا يعد كرما لان الكرم هو بالتبرع بفلس الارملة لا بمبلغ نسبي لمن عنده امكانيات كبيرة .

ان رستما يؤمن بعمل الخير لان ذلك يدخل السرور الى قلبه ويجعله ينام ملء الجفون والنوم الهنيء نعمة من نعم الله لا يعرفها الا من ارتاح ضميره وصفت سريرته .

واسعد رستم ولا نرفق الاسم بلقب ما لان شهرته في الشعر والادب جعلت من الاسم لقبا وكنية تغنيه عن جميع الالقاب والكنايات ومذهبه في الشعر مدرسة قائمة بنفسها فلا في القديم او الحديث ولا في الشعر الجاهلي او العباسي او المعاصر ما يشبه الشعر الرستمي فاسعد في شعره كاسكندر الرياشي (صاحب جريدة الصحافي التائه التي تصدر في بيروت) في نثره لا يجاريهما احد ويصعب على اي كان تقليدهما .

وعندما الححت عليه بانشاد ابلغ ابياته ورد بان كل ابياته بليغة قال : جمعني مجلس بالشاعر الكبير المرحوم معروف الرصافي وذلك منذ زمن بعيد فانشد رستم :

خرجت تقصد نزهة في المساء   ذات حسن وقامة هيفاء
لتمشت وحسنها يتمشى   مثلها في العيون والاحشاء

فقال الرصافي اشتهي هذا البيت بكل ما لي من القريض ..

وانشد بيتين من قصيدة رثائية

نفقدتك يا اخي واخي جناحي   وليس على المنية من جناح
ولو انصفت كنت قتلت نفسي   ولكني نفقدتك يا سلاحي

اما شاعره القديم المفضل فهو الذي قال :

ورد الربيع فمرحبا بوروده

وهو صفي الدين الحلي ، والشعراء المفضلون المعاصرون هما شوقي والاخطل الصغير وثالث لم يبح لنا باسمه ...

واسعد رستم يحب الشعر المفرح ويعتقد ان الغزل نوع من المواضيع التي يتناولها الشعر فضلا عن مواضيع اخرى عديدة منها العبرة ، والحكم ، والفكاهة ، والقصة وغيرها .

يقدر عدد ابياته بخمسين الف بيت يستطيع تلاوتها غيبا عن ظهر قلبه فهو شريط مسجل وذاكرته قوية مرهفة الحس تلبي نداءات الشعر كما تلبي اسلاك التلفون الاوتوماتيكي نداءات المتخاطبين .. وليس لديه في النظم وقت مفضل فهو ينظم بكرة واصيلا ، اذا كان جالسا في الصحراء ، او واقفا في شوارع نيويورك ، او متربعا في مقعد وثير في راس بيروت او في الشوير .. وتتوارد عليه القوافي قبل الابيات كانها خدم تتسابق اليه لتفوز برضاه فيختار منها الاحسن والافضل وما يلائم ذوقه واسلوبه الرستمي الفريد في نوعه ..

بقي علينا ان نقدم بعض النماذج من الشعر الرستمي وهي لا تحتاج الى تعليق او شرح قال فى الوصف :

يا ايها الجبل العزيز مكانــه   انت الذي افتخرت بـه سكانـه
انت الذي التجأ الغريب اليه في   احزانه فتبـددت احزانـــه
انت الذي ان دق بابك زائــر   ونصت لـه بمدنـة اجرانـه

وقال يهجو زائرا لم يرد له الزيارة :

لقد زرت عمروا فمـا زارني   ولا عجب ان قبلت اعتذاره
فان الحمـــار باسطبلـــه   يزار وليس يـرد الزيـاره

اما فى الشعر الفكاهي فقد حلق عاليا والحق يقال بان رستما تسعى اليه النكات ويسعى اليها سعي مشتاقة الى مشتاق .

قال وردت عليه رسائل يطلب كاتبوها اقراضهم مبالغ من المال وقرر ان يلبي طلبهم على سبيل الهبة لا الدين :

لاخواني اقول بالاختصـار   ·اليت اليكم ومعي « معاري» .
وتعدي ان اوزعها على من   اليها منكمو هـو في افتقـار
بعى المولى اذا اتاه مت يوما   ورحت اليـه مـن هذي الديار
يكـافئني ليبقيني لديــه   كسطرة من الرجل الحمار

وقال يخاطب مراقبي الجمرك فى بيروت :

يـا نفس عاما تقعـوا من عمرك   لما ثيابك تنشرا في الكمرك
هذي شرائعنا فنحن نطيعهـا   فلي صناديقي ورأسي امـرك
ما في صناديقي ولا رأسي يـرى   شيء سوى «التجنس» «التأمرك»

وقال فى الاحاجي :

سألنا فتاة للتعجب ما اسمها   فقالت لنا ما تعدكم يطلبون اسمي
فقلنا لها لا تعمـد الا انـه   على صفحات القلب يحفظ كالرسوم
نخطت يداها جملة لم اطرقت   فقلنا لماذا يا مهفهفة الجسم
فقالت خذوا هذي الكتابة واقرأوا   هنا تجدو اسمي مبتداه بلا فم

وقال فى حب بلاده :

كم حلت في نفوسنا والعيون   جرعة مـن مياه تلك العيون
من مياه ما ذاقها النـاس الا   اوجدت قابليـة في البطـون
يا لشوقي الى ثمـار بلادي   والى خبز قمحها « السلموني»
يا لشوقي الى زهور الاقاحي   والى « الحنبلاس» و«الزيزفون»
يا لشوقي الى عناقيد كـرم   تتدلى ما بين تلك الغصون
رمقتنا الحاظها بحبـوب   ظللتها اوراقها كالجفـون

هذا هو الشاعر المليونير الذي عاد الى وطنه بعد طول الغيــاب .

هذا هو اسعد رستم الذي حفظنا الكثير من شعره منذ نعومة اظافرنا . شاعر ضاحك ، عنده من خيرات الارض طرا ، المال ، والصحة ، وحدة الذهن ، وقوة الذاكرة ، وعلم الفراسة ، والنكتة التي لا تفارقه وفضلا عن كل هذا عنده « النفس الخضراء » فلا يكاد يرى جمالا مهما كــان الا وتسمر عيناه فيه . ان الله جميل ويحب الجمال .

اسعد عنده الثقة حتى درجة الاعتداد بالنفس ويود ان يعيش قرنا وربما حقق الله امنيته واستجاب دعاءنـا بطول بقائه معافى .

اسكندر حريق

لالي

الى LALI

•

لالي
صبية من عالم الشمال
تعيش فى خيال
تحلم بالنخيل والرمال
وعالم يزف في الليالي
احزانه على صدى موال

تضيء في عيونها
اسطورة حزينة
كانها عاصفة
تمر فى سكينة
كانها بحيرة
تشقها سفينة
تبحث عن شواطيء
وادعة امينة

اسطورة عن جنة
فى عالم غريب
عن مدن مغمورة
بالسحر والطيوب
تعيش فى خوف
من الاقدار والغيوب

لالي
تود لو ان لها
اجنحة تطير
تبحث عن عوالم
ليس لها نظير
كانها مسافر
انهكه الهجير
يود لو يضمه
في قلبه الديجور

تسالني فى لهفة
عن شرقنا البعيد
عن عالم يعيش فى
خياله السعيد !!

لالي .
مسكينة صغيرتي
عصفورة الشمال
تعيش في خيال

الرياض   **ناصر بوحيمد**

الحقيقـــة ... ولـون المـوت

يـا لشيطـان الحب ... انـه يخلد احقـادنا الى الابـد ... (بودلير)

سقط القناع ..
وبدوت ، في لون ، كلون الموت ...
وانفضح الخداع ..
وتلاقت النظرات فى خوف ..
وفي وله وفى شبه التياع ..
وجلدت ظـن السـوء فيـك
فانت انقى من مـلاك ..
وصفاء سيرتك البريئة ..
لن يلطخه انتهـاك ..
وكبت فى نفسـي .. وفى جرحي ..
عذابات الصراع
وسعيت فى شوق غضوب ،
ان ارى اتن القناع ..
فوجدت دودا ناغلا ،
ووجدت سما واناع ..
وقرات فى عينيك ذلا
ليس يوصفـه يراع ..
وتطلعت عيناي ، فى حذر ،
الى لـون القنـاع ..
فلمحت شيئا ...
كان تنينا له الفا ذراع ..
ولويت وجهي بارتجاف ..
ذلك التنين ، سموه الخيانه ..
غير اني لست ادري
كيف طلقت الامانه ؟!
كيف شوهت المواعيد الملونة المزانه ..
فكان ، حبا ، لم يكن ،
بيني وبينك يا جبانة ..
يا حية رقطاء تسعى بالحقارة والنتانة ..
يا نجمة سوداء فى افقي وفى ليل المهانة ..

ورجعت مبهورا ، وراسي حامل الصداع
ووقفت فى وجه الحقيقة ،
مشرئبا كالشراع ..
واردت تكذيبا لها ..
ووددت لو انسى خفايا سرها
وحلمت لو اني
انتصرت خبائث شرها ..
لكنها ..
حزم منَ الاضواء ، شعت فى عيوني ..
لم تترك الاعماق فى صمت ، ولكن ..
الهبت نار الظنون ..
وبدات اغلي فوق ناري
وانا اموت ، تأوها ..
وترددا ولظى انتظار ..
وانا اذوب تحرقـا ..
وتأففا واسى انتحار ..
ليلي خليط من كآبات وهم وافتكار .
وكذا نهاري
يشتد محموما وينهزم اصطباري ..
واروح اجري خلفها ..،
خلف الحقيقة ..
خلف عاري ..
حتى نجئت بها
تشع كاعين الموتى جواري
فقبضت قلبي واستويت ،
ممزقـا ذاك الستـار
وهويت فى الم ولكن ..
ما تهاوى اقتداري

سقط القناع . .
يا انت .. يا سقط المتاع .
وانهارت الاصباغ والالوان
وانطفا الشعاع ..
واذا الرسالات القديمة
محض اسفار كذوبه
واذا الهنيهات السعيدة ..
ذكريات لي كئيبه . .
واذا « الحبيبه »
كلمة ثلجاء ، مثل الموت
بل انكى رطوبه ..

حمص ممدوح السكاف

فرنســـوا مـوريـاك

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ان المقاطعة التي ترعرع فيها موریاك تلعب دورا اشد اهمية فى رواياته من مجرد قاعدة ارتكاز لها . فمدينة بوردو الداكنة الحزينة نوعا ما ، وما يحيط بها من ريف تكثر فيه غابات الصنوبر ، واشجار الكروم ، والبيوت الكبيرة المنعزلة المتباعدة ، وسط الرمال ، كل هذه الاشياء تعاونت على تكوين حساسية القاص . ومع كونه ليس كاتبا اقليميا بالمعنى الضيق من الكلمة ، الا ان الصفات الروحية والطبيعية التي دمغت اقليمه بطابعها ، تبدو حية متصلة اوثق الصلة بشخوص الروايات . فهذا الاقليم جزء من الشعر وجزء من الدراما فى كل من الكتب ، لدرجة يصعب قياس اهميته ، كما هي الحال بالقياس الى قصص وليم فوكنر . ولكن موریاك لا ينشد الاغاني مباشرة عن اقليمه ، كما يفعل موريس بايرس . بل هو يركز عنايته فى مناظر الروح الداخلية ، تلك المناظر التي تعكس بجلاء المفاوز الرومانية والاماكن المنعزلة الهادئة ذات العلاقة المباشرة بارضه .

كانت طفولة موریاك اقليمية تماما على حسب التقاليد الرزينة ، وكانت ــ فى الوقت نفسه ــ واقعة تحت رحمة الولاء للاسرة والولاء للصلاح والتقى . وكان هو واحدا من خمسة اطفال . توفي والده ، وهو لم يتجاوز شهورا معدودات ، وعلى ذلك تحملت والدته كامل المسؤولية في تنشئة الاسرة . والظاهرة البارزة ان الواجبات الدينية ، اخلت مكانها المرموق فى ايام هذه الاسرة الرتيبة . نشا موریاك ضعيف البنية ، خائفا من التقصير فى دروسه ، لئلا يقف مرعوبا امام معلمي مدرسته . والعديد من ذكريات طفولته متناثرة هنا وهنا فى رواياته . ولكنه لما بدأ يكتب سيرة حياته تحت عنوان « بداية حياة » نراه لا يخصص لها سوى صفحات قليلة ، تنبيء عن المه الشديد ، لما يتطرق اليه من ذكر هذا الالم .

درس موریاك فى مدرسة كاثوليكية ، حيث كان على الطلاب ان يستيقظوا ، فى ايام الشتاء ، فى الساعة الخامسة والنصف ، ويهبوا من غرف المنام المحرومة التدفئة ، ليؤدوا فريضة الصلاة . ولا شك فى ان الطلاب كانوا بحاجة ماسة الى الشجاعة لكي يغسلوا وجوههم بالماء البارد . اما فى فترة الساعة الرابعة مساء ، فكان موریاك مغلوبا على امره ، بسبب ما كان يستجد من مناقشات ومجادلات بينه وبين التلاميذ الاشد منه قوة وسطوة ، الامر الذي جعله يخاف من مستقبل حياته الذي تكهن بقسوته وعنفه لما اتصف به من ضعف بدني . ومن هنا فلا نعجب من رغبته الملحة للتعبير عن نفسه منذ عهد مبكر . وعلى ذلك اصبحت اماسي الايام اثمن الاوقات بالنسبة الى الصبي ، لان فيها تذوق العزلة المثمرة ، فاخذ ينظم بعض القصائد الساذجة وقد تميزت براءة طفولته ومبكر مراهقته ، بمحبته العميقة التي محضها لوالدته . تلك الوالدة التي دهشت لتفضيله العزلة والدراسة على ما سواهما من المسرات ، غير انها قدرت قيمة طبيعته التي كانت قد تكونت وتكاملت . عاش موریاك ، الى العشرين من عمره ، عيشة اعتيادية ، لا تفرق ــ فى شيء ــ عن عيشة المراهقين ببلدته : حياة مكبوتة ، يعوزها التعبير كثيرا . وقد اثرت مدينة بوردو فى حساسيته ، بقداديس منتصف الليل فى كاتدرائية القديس اندره ، والبيوت المرعبة المنظر .

ولما كان طفلا شغل نفسه باخطر المشاكل كـ (حالة النعمة) (١) واضطر الى الانحصار فى شرنقة نفسه ، لافتقاره الى الروح المتوسعة المتطلعة ، فشعر برابطة قوية تشده شدا ببلدته . تلك البلدة التي كانت احياؤها القديمة تنفحه بروائحها الخاصة ، ومن ذلك ان شارع القديسة كاترين كان مسرحه الذي يشاهد فيه البنات رائحات غاديات يلعبن ويمرحن ومنهن من يبعن الاصداف التي ياتي الباعة المتجولون بها من سواحل الغارون . وهذه المناظر اثرت فيه تاثيرا ظل جزءا لا يتجزا من حياته . اما الكاتدرائية فلم تقل تاثيرا فيه ، لان شعوره بمهابتها جعلته يطفح سرورا ومرحا .

ومع انشغال بال موریاك ببوردو فلم يمنعه ذلك من ممارسة قابلياته النقدية . ولذا نراه يمقت بلدته وسكانها كما يحبهم اشد الحب . عاش (الكاتب) على صلة وثيقة بالبرجوازية ، فلحظ ، من مبكر سنيه ، فضائلها ورذائلها . واشد التناقضات التي اقلقت ذهنه ، واستخدمها فى العديد من كتاباته ، انبعثت من مراقبته للبرجوازيين الرزينين الهادئين وهم يستمعون الى خدمة القداس (فى الكنيسة) ولنا مثل لهذا التناقض فى قداس منتصف ليلة عيد الميلاد ،

---

(١) هذه الحالة فى العقيدة الكاثوليكية تدل على نعمة الايمان التي يفيضها الله على المؤمنين ، من غير عمل مكتسب ، على الضد من العمل المكتسب ، الذي تؤكد العقيدة البروتستانية عليه .

اذ يقرا الكاهن ما يلي ذكره عن قصة ميلاد المسيح « ولقد ولد في مذود » في حين يستمر اعضاء القطيع البرجوازي مرتدين معاطف الفرو ؛ الامر الذي اقلق مورياك اعنسف القلق ، وحرك قلمه بصورة مستمرة . ولذا فلم ينقطع قط عن التبرم بما كان يجده من وشيجة قوية بين حفلات بوردو الصاخبة وبين حفلات تناول القربان المقدس .

اما تاملات مورياك في المشاكل الدينية والاخلاقية ، فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بتاملاته في الدور الذي لا بد للكاتب إن يلعبه في الحياة ، ولا سيما وظيفة القاص ومسؤوليته . نعمل الكاتب ــ بالنسبة الى مورياك ــ هو ما يبرر حياته. ولذا نراه يعتقد بان رواياته تشتمل على الحقيقة الجوهرية الخاصة بحياته وفكره . نصفحات رواياته تمثل الحقيقة اقرب التمثيل . ولذا نجد القاص محاميا عنيفا يدافع بجرارة عن افكاره وارائه ، في كل صفحة من هذه الصفحات، مجاولا تبرير وجوده . وهذا ما يجعله يعتمد كل الاعتماد على ذكرياته ، وبدلا من ان تمحي آثار هذه الذكريات نراها تنبض بالحيوية والحركة ، ففيها نرى الوجوه التي رآها ، ونسمع الكلمات التي سمعها ، ونلتذ بالنكات والمشاهد والمناظر التي التهى بها ملتذا مسرورا . الا ان الغرف والدور والحدائق ، وهي السند الذي تستند اليه روايات مورياك ، فتمتاز برتابتها واتساقها المملين ؛ لان المؤلف لاحظها في بوردو والمقاطعات المحيطة بها . ومن الجدير ذكره ان اصدقاء مورياك وجيرانه ، اخذتهم الدهشة والتعجب ؛ لانهم تعرفوا ، في رواياته ، على حدائقهم وبيوتهم ، واماكن لهوهم وعبثهم كما هي من غير تغيير او تبديل .. اما سر القاص فينجلي في اكتشاف الغيلان الخفية المتجسدة في الشخوص الصالحة ، التي تعيش في بيوتها وقصورها وحدائقها هادئة ، يبدو عليها الاطمئنان والسكينة . ومع ذلك ، فان مورياك استطاع ان يبرز لنا من هذه الشخوص الاعتيادية ، اناسا مرتبكين متبرمين من غير عذر مشروع . هؤلاء هم مخلوقاته التي جاءت الوجود على يديه . فهو اذن مهتم باعمق البواعث السارية في اعماق نفوسهم ، ورغباتهم المكبوتة ، واحلامهم الخيالية الصامتة.

واذا كانت محتويات روايات مورياك داكنة الظلال ، عاطفية الاسلوب : فالشكل العملي لكتابته ذو صفاء جذاب، وتاثير مباشر ؛ مع الاعتناء بالانسجام والانتقاء . ولذا يبيح له اسلوبه المحتشم ان يتحدث بما يشاء عن شخوصه . اما فوضى الجريمة والحالات العصابية الهائجة فتنقلب في رواياته راسا على عقب ، بتاثير النظام المسيطر على كتابته. وفقدان الدراما المؤثرة كليا من اساوبه يسمح لدراما شخوصه العنيفة ان تؤكد على وجودها توكيدا موضوعيا شديدا . فبساطة الجمل وعدم اعطاء معاني الكلمات حقها تساعدان على زيادة مصائب والام الشخوص ؛ تلك الاحوال (الحزينة) الصامتة في العديد من القضايا المطروحة للبحث.

يعتقد مورياك بان خلف كل رواية بضعة من حياة المؤلف نفسه بدرجة ما ؛ اي دراما كانت شخصية مجربة ام متخيلة . وهكذا تصبح الكتابة متنفسا للالم او العاطفة او الغضب المكبوت او الرغبة المنطوية على نفسها . وشخوص هذه الكتب تكاد تمثل اكباش الفداء المحملة سرا بالخطايا التي قد يكون ارتكبها او تصورها المؤلف . وخطيئة القاص متى ما مرت في نتاجه تنمو نماء غير متوقع في جرمها واهميتها . ومن هنا ، فان فن القاص يتجلى في تبديل مواقع الحوادث وليس في اعادة انتاج ما هو واقعي.

يحتل فرنسوا مورياك مكانة خاصة بين الكتاب الكاثوليك في فرنسا المعاصرة . ومع خلو كتابته من التوجيه التعليمي والدعوة الدينية ، فالمؤلف يكرس حياته لدراسة الخطيئة والشر والضعف والالم . ولكنه لا يجعل القداسة موضوعا من موضوعاته الرئيسة . وهذا ما يحدو به الى الاعتراف بانه خاب دائما في رسم الشخوص الفاضلة . وقد استصعب المسيحيون الاتقياء والملحدون على حد سواء قبول هذا الاتجاه في مسلك مورياك . ومن ذلك ان جيد عنف مورياك مرة للمكانة الكبيرة التي يعزوها للشر في رواياته ، والا فالتسوية بين الخير والشر ، كما عرفها ، هي التي تسمح لمورياك بمحبة الله من غير نسيان منظر مامون (٢) . ثم اضاف جيد الى ما سبق بان ذهب الى حد القول بانه لو كان مسيحيا لما تمكن من الاقتداء بمورياك بسهولة ويسر .

والهجوم الكبير الذي انصب على مفهوم مورياك للرواية جاء على لسان جان بول سارتر ، قبل ان يصل سارتر الى ما وصل اليه من سمعة طائرة الصيت في الوقت الراهن (٣) وهذا المفهوم « يتمثل في اعتقاد مورياك بان القاص يشبه المبدع في قدرته على معرفة مخلوقاته ، على الرغم من انه لا يحرمها حرية الارادة » . يدعي الوجودي ان الكاتب المسيحي يصلح لكتابة الروايات بصورة معجبة لان اعتقاده بحرية الانسان تسمح له بذلك . ولكن مورياك ، على حسب راي سارتر ، يرى الكون باجمعه في جميع الازمان . اما حواره فهو منمق يماثل حوار المسرحية ، بمعنى انه منظم على حسب خطة مرسومة . في حين ان شخوص دوستويفسكي وفوكنر وهمنغوي لا يعرفون ماذا يفعلون بعد الذي فعلوه سابقا . فهم اذن اكثر حرية من مخلوقات مورياك . ثم ادعى سارتر بان الله ليس فنانا ، وعليه فليس مورياك فنانا ايضا . وهذا النقد الذي وجهه سارتر يحدد فن الرواية تحديدا شديدا . ذلك بان مورياك لا ينتسب الى القاصين الواقعيين من اضراب بلزاك وفلوبير وزولا بل هو يتصل بباسكال وراسين وبودلير ، هؤلاء الذين يجعلهم شعورهم بالماساة يتخذون موقفا رفيعا نوعا ما ، ان في تجريد الاسلوب او في تطهيره من الادران .

والكاتب الكاثوليكي في فرنسا المعاصرة ، هو ــ في اغلب الحالات ، حديث الايمان الكاثوليكي ، فهو اما مرتد من

---

(٢) هو اله المال ، كما في الاساطير اليونانية

(٣) كتب سارتر هذا الراي في مقالة نشرها عام ١٩٣٩

العقيدة البروتستانية او اليهودية ، او الالحاد ومن هؤلاء بلوى وبيغي وسيشاري وماريتان ودوبو وريقيه وكلوديل. ومع ذلك فان موریاك لم ينفصل عن الكاثوليكية قط . فلم يكن ليغير تغييرا ذهنيا او اعتقادا جديدا مطلقا . وفى هذا الصدد يصح تشبيه موریاك بمونتين ولارشفوكو ، ذلك بانه ، كشانهما ، تأمل فى التصرف الانساني من مركزمنفرد. وكاسلافه الاخلاقيين ، فى تاريخ الفكر الغربي ، لم يجعل همه مراقبة مظاهر الناس وعاداتهم السطحية ، بل سعى للتغلل فى اسرارهم واسباب خيبتهم المتزايدة فى ظلام لا شعورهم ، تلك الاسباب التي تحول دون نماء حياتهم الداخلية ...

ومن الموضوعات المتكررة دائما فى كتابات شارل بيغي الموقف المهم الذي يحتله الخاطىء فى عالم المسيحية . وروايات موریاك تصور هذا الدور الدرامي البارز الذي يمثله الخاطىء . وبعد نشر (ملائكة الظلام) — ١٩٣٦ — اشتد النقد الموجه لموضوعات موریاك بحيث انقلب الى عاصفة من الاحتجاج . فتساءل منتقدوه قائلين : الم يكن اتجاهه ذلك عارضا من عوارض السقم والمرض ، والا فما الذي يعنيه عالم الشر الذي يرسمه القاص ، فى ظلامه الدامس وياسه القاتل ؟ الا يعني هذا الانشغال المستمر بالخطيئة والاعوجاج اغضاء عنهما او اسهاما فيهما ؟ ومن هنا وصم نتاجه بوصمة الفضيحة . فدعي موریاك مرارا وتكرارا للدفاع عن نفسه وتبرير موقفه .

فكان جوابه هو هو لا يعرف التبدل او التغيير . انه معنى بمشكلة الشر ، وهو لا يجد شذوذا او فضيحة فى شخوصه. فالصحف تمدنا يوميا بالادلة المقنعة على مدى انتشار الجرائم ، التي هي ليست انظع ولا ابشع من تلك التي نجدها فى رواياته . وكل ما يفعله القاص هو انه يعزل احدى هذه القضايا فيحلل منشاها وتطورها . فالرواية اذن هي فيض من الضوء الموجه الى قصص العواطف الكامدة التي يتحدث عنها الصحفيون بقلة اكتراث . ولذا طلق موریاك اسم الاضاءة على مادة رواياته . « جاعلا منها بؤرا مشعة الضياء لاكتشاف اقبية الظلام ، وانارتها » (٤) تمثل شخوص موریاك ذلك الضرب من الطبيعة الانسانية المتكونة من (طينة) المسيحية الرسمية والمتكيفة بها .

واذا ما وجدنا بعض الشخوص الذين يدينون بالايمان الكاثوليكي بصورة شكلية او اسمية ، الا ان اعمق اجزاء طبائعهم تتجاوب مع القوى الداخلية فيهم والمحيطة بهم ، وكان المسيحية المعترف بها وغير المعترف بها ، هي بداية الوجود الانساني ونهايته . وفى مثل هذه الطبائع ، يتوضح النزاع بين الخير والشر ، بحيث تصبح الدراما انصع جلاء . صحيح ان الطائفي او الكاثوليكي على حد سواء قد يجرب نوعا من الرعب متى اقترف خطيئة ، او متى ما انفرد بعواطفه ، ولكن يبدو ان الكاثوليكي اكثر من غيره من المسيحيين يشعر برعب غيبي او تاريخي ، فى حضور الجريمة وفى تذكرها . وكل خطيئة يقترفها الاخرون تؤثر فيه ، بطريقة من الطرق ، وتزيد من شدةدراماه الشخصية، وهناك مفازات واسعة من العزلة يتيه فيها العديد من شخوص موریاك ، ولكن هذه العزلة واقعة تحت تاثير معرفة قديمة للخطيئة . وليس من شروط هذه الخطيئة ان تكون مكتسبة بالتجربة بل هي تتاتى من شعور قديم بالمسؤولية تجاه خطايا الاخرين . ومن هنا فالمحل الذي يصيب المشاهد المورياكية له صلة بجفاف قلوب مخلوقاته، ومع ذلك فمن العسير ان تكتشف شعورا كونيا بالشر يماثل شعوره .

وقد تكون بيئة روايات موریاك غير ملائمة للكثيرين من الفقراء ، لما تتصف به العواطف من جهامة وبؤس . اما المعضلة الجنسية ، التي لا تبحث بصراحة ، فهي مركز الدائرة فى كل من هذه الكتب . ولا تحدث الدراما الا في اشد الاماكن سرية ، حيث للالهام الديني قوته الفعالة ، او على الاقل حيث يصطدم التكيف الديني بالرغبة الجنسية الجامحة . وهذه الرغبة مكبوتة ، لدى شخص موریاك ، او هي تكاد تختفي او تنسى ، ولكنها ، متى حانت الساعة تنفجر انفجارا شاذا عنيفا . ومع ان موریاك لا يقدم تعبيرا مباشرا عن المشكلة الجنسية ، بل هو يعنى بما تشير اليه هذه المشكلة من تاثير فى غيرها من المشكلات .. ثم ان موریاك لا يجد فى الاصل الجنسي لاي حياة جبرا مطلقا بل تشوقا او ميلا يهدد دائما قداسة الحياة الانسانية الممكنة الوقوع . وعلى ذلك ، فان كل شخص معرض للتجربة ، على قدر تحمل طبيعته ، ذلك بان اصل الجد ينبت فى تربة الظلام ...

ادرك موریاك ذروة التعبير الفني ، منذ نشر روايته (التكوين) فى سنة ١٩٢٣ . وفى هذه الرواية نجد تكثيفا للاسلوب ، وتشديدا للعاطفة ، وفرض عزلة على المشهد الاساسي . وهذه الصفات هي المستلزمات والادوات التي لا تفارق اي رواية من روايات موریاك . فهو كامل الاهبة متشابه السمة فى كل منها . وهو يكرر العودة دائما الى المعضلة نفسها وقاعدة الارتكاز ذاتها ، وهو — فى هذا التكرار — اكثر حمية من غيره من الفنانين المعروفين بتكرارهم من امثال موليير ودكنز وهنري جيمس. والفنانون من هذا النوع ينجحون عادة ما بين خمس او ست مرات فى المزج بين طبائع الشخوص والموضوعات الرئيسية في الرواية . لانهم يكررون راغبين القصة عينها ، حتى تخرج مجلوة ، صافية ، كاملة . وهذه الرواية تبدو اول طرفة كاملة من الطرف التي ابدعها موریاك . فنوعية الكتابة ، والشعور المشجي والانشغال الاخلاقي وحدة منسجمة، في تناسب رائع يفوق — في روعته — تناسب الكتب الاولى . والفقرة الافتتاحية من رواية (التكوين) تشير بدقة الى الصلات المتشابكة بين ابطال الرواية الثلاثة . انا لا اعرف

(٤) من كلام المترجم

رواية اخرى ؛ تدفع جملها الافتتاحية القارىء دفعا وبصورة مقنعة الى الدراما المركزية التي تلفت انتباهه تلقائيا الى المعضلة النفسية لانها محورها ..

والمشهد الاول هو مقدمة وتلخيص مركز للنتاج كله . وفيه نجد الزوجة الشابة ماتيلد كازنيف وهي على فراش الموت ، انها وحيدة نفسيا ، ومن حيث البيئة ، في دار اسرتها الكبيرة ؛ فقد تركها زوجها فيرناند وامراة عمها فيليستي تركاها مهجورة منقطعة في تلك اللحظة (السامية) الحرجة . فهي اجنبية ممقوتة من قبل امراة عمها ، التي تسيطر على ابنها سيطرة الجبابرة . كانت ماتيلدا تتألم من الاجهاض الذي اعتورها . وكانت ام فيرناند تذكر ابنها بان ما حدث خير ، والا فلا بد ان الولد ، لو اتى الى الوجود لكان بنتا ، ولما حمل لقب الاسرة . وفي هذه الاثناء تدرك ماتيلدا ان حماها المتصاعدة لا بد ان تكون قتالة ، وتدرك ان خطة موتها وضعت من قبل فيليستي ، لان الاخيرة لا تجد حاجة للحفاظ على امراة مريضة . وفي هذه اللحظات تمر صفحات قصة حياتها متتابعة امام عينيها ، وبخاصة خيبة زواجها . ذلك بان حياتها كانت معدومة الحب . ولذا فاذا جاء الموت فلكي يخلصها من عذابها وحياتها الجديبة .

صحيح ان المشهد يعوزه الكلام ، ومع ذلك فمورياك ينجزه بايجاز وبلهجة تجردية ، كانه وهو الخالق المبدع ، يرقب مخلوقته المشرفة على الموت ، من غير ان يكون قادرا على اعانتها . ولكنه لا ينسى ان يشير الى بعض الوقائع البسيطة للدلالة على ماساة هذه الحادثة بما فيها من يأس .

ثم تبدا الدراما الواقعية ، في غضون الساعات التي يرقب فيها جسد زوجته ، ويبدا بالشعور بالالم ، لاول مرة في حياته ، من جراء شخص اخر . اذن على ماتيلدا ان تموت لكي يشعر بالاتحاد معها ضد عدو البيت الذي اراد القطيعة بينهما . ومن تلك الساعة يصبح غياب ماتيلدا حضورا واقعيا بالقياس الى فيرناند . وهذا ما نراه في الصمت الذي يطبق على المشاهد الاولى بينه وبين امه بعد مواراة ماتيلدا التراب . وحال تكوين شخصيته الجديدة ، ينفجر القسم الثاني من الدراما ، فتحدث مشاجرات عنيفة بين الابن ووالدته .. ثم ينتهي هذا القسم بشلل السيدة فيليستي وموتها . اما ومضات الرافة التي تتخلل هذه المشاهد ، تلك الرافة التي يبديها فيرناند لوالدته ، في غضون اشهر ختام حياتها ، فيعود الفضل فيها الى تاثير ماتيلدا ، وهذا ما يشير اليه فيرناند ، وما يجعل العجوز تتقبل الهزيمة النكراء بنفس مهانة .

اما القسم الثالث والاخير من (التكوين) فالغرض منه تبرير العنوان . فالى هذا الوقت كان فيرناند كازنيف يعيش بين تعابير حبه ومقته لامه ، والان وقد ذهبت هي ايضا ، فلم يعد يعيش كانسان سوي . لقد كانت ، في حياتها ، آلهة الشمس ، خالقة الحياة ، وبوفاتها لم يعد فيرناند يجد محورا ليدور حوله .. ثم تحاول خادم البيت ماري لادوس ان تعوض بانسانيتها العميقة عن فقدان الام الاصيلة ، ولكنها ذات مرة تتصرف تصرفا سيئا ، مؤداه اشراك حفيدها بمائدة سيدها فيرناند . فتثور ثائرته ويطردها من البيت .. ثم تخيم كآبة الصمت : حتى يغدو البيت جحيما لا يطاق ..

وبعد سنتين من طبع (التكوين) نشر مورياك (صحراء الحب) التي تعد المثل الاعلى لفنه ، ذلك بان كلا من ماساة الرواية وشكلها ، انجزتا على وفق قياس مضبوط محكم . وهذه الرواية تحسب انموذجا من نماذج الفن الكلاسيكي ، اذا نحن ارتضينا بما ذهب اليه جيد من ان هذا الفن ينبع من اصالة التجربة وحسن الاتقان ، واذا ما حاولنا ان نقارن مورياك باي من زعماء هذا الفن ، فلن يكون من الخسران ان نقارنه براسين ، اذ هو يماثله ويشابهه تماما . والجدير بالذكر ان للفرنسيين ولعا خاصا بالبساطة في الفن ، وتقليدا ادبيا دائميا في عرض اصعب القضايا النفسية عرضا هادئا رزينا . ومن امثال الكتاب الذين ينحون هذا النحو في الاسلوب : سكيف وراسين ولاروشفوكو وبودلير وفاليري ومورياك .

اما كيان الرواية فيسمح بالسرد القصصي السريع . يقع المشهد الاستهلالي في حانة بباريس ، حيث ينظر البطل ريمون كوريج ، البالغ من العمر الخامسة والثلاثين الى قسمات وجهه في مرآة حائطية ، فيدرك ، لاول وهلة ، ان علامات الهرم واضحة في حياته اكثر من وضوحها في وجهه او جسمه . وفي تلك الاثناء تدخل امراة الى الحانة ، فيعرفها ريمون على الفور . انها ماريا كروس التي تعرف عليها في بوردو منذ ما يقارب العشرين سنة . انها هي التي سقط في شباك غرامها ، لما كان في الثامنة عشرة من عمره وكانت في السابعة والعشرين . ومعنى العنوان جلي من المشهد الافتتاحي . ذلك بان ماريا كروس هي المسؤولة عن صلابة شخصية كوريج . ومنذ ذلك الوقت تعرف على الكثيرات من النساء ، ولكنه لم يقع صريع هواهن ، بعد الذي اصابه من هواها . وقبل ان يتحدث الى ماريا ، شرد فكره الى سنوات شبابه ، حين كان عذاب الحب يؤلمه ، وهنا يبدا القسم الرئيسي من الرواية . هذه الرواية هي دراسة (ليست وحيدة بين كتابات مورياك) لعاطفة المراهقة ، والحب الجنسي الصامت ، والقانون الغريب الذي يسري على المغرمين الذين يقعون في فخاخ من لا يحبهم . يقول مورياك ، كما قال راسين ، باننا لا نختار اللواتي يمحضننا الحب . انهن يظهرن ، في حياتنا ، في الوقت الذي نعجز فيه عن مقاومتهن . ومن هنا ، تنفسح امامنا صحراء الحب ، وتبدو قبالتنا العزلة والوحدة ، وتحط الغرام الذي يجذبنا .

والقصة تنفتح امامنا ، في قاعدة ارتكاز ، تتمثل في الحياة العائلية التي تصبح من تلقاء نفسها ، صحراء من صحاري الحب . ثم تنشق هوة بين ريمون ووالده الدكتور كوريج ،

تتوضح فى سوء الفهم ، فيشعر ريمون بعداوة تجاه والده الذي يكون عاجزا عن التعبير عن اي عطف ابوي تجاهابنه. وهذا النوع من القطيعة بين ابيه وبنيه يثير كوامنالنفوس.

والقطيعة هذه هي السند الذي يعتمد عليه مورياك ، فى وضع الرتوش النهائية ، لانه يتبين لنا فى الختام ، ان الاب والابن يغرمان بماريا كروس فى لوعة متماثلة ، وطبيعة متشابهة مع وجود الاسباب المختلفة فحب الدكتور لماريا كروس ، يتكون من الشوق والرافة ، فى حين ان حب الابن لها يمتاز بالعنف والحدة والصرامة ..

ولكن دراما ماريا الشخصية هي من الصعوبة والدقة ، بحيث تفوت على كل من الرجلين اللذين يتعقبانها ، كل على حسب مزاجه وسنه . ذلك بانها فريسة من فرائس الارهاق والتعب . ولذا كان موضعها المحبب ، فى اكثر الاحوال ، هو الفراش ، حيث كان يمكنها ان ترسم خطوط افكارها ، وتصور اشكال رغبتها ، وهي بين الحلم واليقظة. اما طبيعتها الجنسية ، التي كانت تشتد من حين الى حين، فقد كانت التبدلات تتعاورها ، لتجعل منها نوعا من عطف الامومة الحنون . انها تمثل ذلك الضرب من النساء اللواتي يثرن الشهوة الجنسية فى الرجال ، ثم يتكرمن بمعاملتهم كاطفال . ولاجل ذلك نرى هذه المراة تفضل رسائل الدكتور على ملاقاته ، وبعد ، ان تغري ريمون ، فيقدم لها فروض ولائه ، نراها تنسحب ، فتصبح غير مبالية . ومن هنا ، فان الشخوص التي تحيط بها تتعلق بها ، ولكنها تابى ان تتعلق باحد . وهذه الفكرة التي يجدها مورياك لدى ماريا كروس ، لا تمثل ، فى الواقع ، سوى توسيع لمدى صحراء الحب . ذلك بان عاطفتها بليدة متعبة ، لانها قد استنزفت فى صحراء الحب ، وكانها بذلك تنوب عن بطلي راسين هيرميون وفيدر .

والميزة الدرامية الخاصة ببطلات راسين تتحول ، فى فن مورياك ، الى صف ابطاله المراهقين ، كما هي الحال ، مع ريمون كوريج ، فى (صحراء الحب) . وعاطفة المراهقة ، هي فى الوقت نفسه ، عاطفة عنيفة جدا ، وزائلة جدا ايضا، ومع ذلك فقد استطاع مورياك ان يستخدم الترام ، فى بوردو استخداما ذكيا حاذقا . وفى محطة الترام هذه استطاع كل من ماريا وريمون ان يلتقيا ؛ ويستمرا فى هذا الالتقاء يوميا ، قبل التجاسر على الكلام .. ومع الفارق الزمني بين ماريا وريمون ، استطاعت الاولى ان تستميل ريمون ، وان تقوي من جاذبيتها له ، على الرغم من عزلتها ووحدتها ، وانقطاعها عن العالم ..

وهذا الموضوع ، الذي يتبين فيه لمورياك من قدرة على فصل الشهوة الجنسية هو من الوضوح بحيث يبدو عاريا فيما يعالجه من شؤون المراهقة . والظاهر ان الرواية تستمد عنفوان شكلها من عاطفة ريمون الشديدة القاسية وغريزته العنيفة . اما القسم الرئيسي من هذه الدراسة فتستمد قوتها من التوكيد المتزايد المتلازم لرجولة ريمون وعدم اكترائه لكل ما يحدث فى العالم .. وبعد ان يستخدم مورياك الترام على اعتباره رمزا للغربة وللجهل ، نراه يستخدم مشهدا طبيعيا خارجيا ، ليكون دليلا ومقدمة للمشهد الرئيسي الباعث على محاولة الاغراء . واثناء ذلك تهب عاصفة رعدية مع مطر شديد ، فتتحطم الحديقة الواقعة امام بيت ماريا . وهنا يحاول ريمون ان يقوم بما تتطلبه الحال من مقتضيات .. ولكن عاطفته تتلاشى كتلاشي اشجار الحديقة . وهنا تمثل هزيمته بداية حياة عسيرة تتجلى فى خواء صحراء الحب ، وسقمها وعريها ..

اما بطل مورياك الاسود فهو يتمثل (فى جين بيلوير ، وفيرناند كازنيف ، وريمون كوريج) وهؤلاء هم ابطال روايات مورياك المعروفين ، ولنا فيهم صفات تنطبق على (سيكولوجية) باسكال ، التي لا تزال ، فى فرنسا ، تمثل البحث النفسي المتعلق بالتقاليد المسيحية . وعلى حسب هذه الظاهرة من الفلسفة الباسكالية ، يكون القلب الانساني مركز الدائرة من الكون . ذلك بان قلب كل شخص مرآة عاكسة للكون من حيث الاتساع والشمول . وعلى ذلك يدرس مورياك قلب بطله على عده ماساة حاسمة فريدة النوع . وكتابة دوستويفسكي اقرب ما تكون وادنى ما تكون الى هذا المفهوم عن القلب . ومورياك ، قاصا ، يجمع بين التحليل الفرويدي الخاص بالاضطراب النفسي ، وبين التحليل اللاهوتي ، فى دراسته لاصل الخطيئة . وكل ما نلحظه ، فى روايات مورياك ، تعرض الذات الانسانية العميقة الى الخطر المحدق . ومن الجدير ذكره ان العرض الدرامي ، الذي تصوره لنا شخوص باسكال انما تمثل النعمة او الحكم بالدينونة . والروايتان الانموذجيتان (التكوين) و (صحراء الحب) ليس فيهما ما يقنع او يثير الاقناع ، لان الرواية على ما يدركها مورياك ، ما هي سوى قصة الخطر (او الاضطراب) وفيها يجد البطل المظلم نفسه ، وهذه القصة تتوقف عن السرد حين يوشك الخطر على الزوال .

يتمتع كلمن باسكال ومورياك بمزاج (جانسيني) وهذا ما يجعل كتاباتهما تتشابهان بحوار مستمر يدور بين المظهر والحقيقة . يمثل باسكال الجانب الفلسفي الاخلاقي المجرد ، فى حين يمثل مورياك الجانب القصصي النفسي الواقعي ، وهذا امر واضح فى اشارته الى قيمة الخطيئة السرية ؛ وعمى البشر الذين لا يحبون ما يتصورون محبته . واذا كان مورياك يبدو جانسينيا فى الهامه ، فهو ليس كذلك من ناحية العقيدة ، وهذا جلي فى حرية شخوصه ... والصفة البارزة لدى بطل مورياك المظلم ، تبدو فى حنينه الى النقاوة المفقودة .. ذلك انه مهتم كما كان باسكال بالسمة الوجودية للروح وبشقائها ان هي انفصلت عن الله . وذات مرة وصف مورياك نفسه بانه الميتافيزيقي الذي يعمل فى حقل الواقع . واستخدامه المسرف لكلمة (دراما) مفتاح لدراسة نتاجه : اذ ان كل

الى صباح

مهداة للشاعر متري عبد الله الحمارنه

اخي متري اعجبتني رائعتك « الى فيروز » في عدد ديسمبر الماضي لاني قلما احظى بالشعر الاصيل فتقبل هديتي لتقارن بين « فيروزك » و « صباحي » ولتذكر ان لبنان الفنان الخالد يملأ دنيا العروبة بجمال الفنون اكثر مما يملؤها باخبار الحروب .

طفلة حلوة تناغي شذا الورد   بثغر محير البسمات .
لو رآها الذي تحرق بؤسا   لانتشى في رياضها الخفلات
خفة تقذف الوقور الى الرقص   وتلقي الشباب في الهلكات
حركات لديك تلعب بالروح   وتذكي ما نام من لهفاتي
سرقت خافقي جفونك والشدو   فضجيت مع الهوى خفقاتي
قد بعثت الالحان في الروح كالخمر   فاودت باكؤسي العطرات
ليت شعري ايا صباح وانت الصبح   في بحر هذه الظلمات
اغناء سمعت منك ام الاطيار   ضجت لله بالصلوات
نكهة انت في دمائي وفي نفسي   كروحي فاين منك نجاتي
تسبح النفس في سكون عميق   منك في يقظتي وفي غفواتي
اي شيء هذا الدلال وذا الانس   يسزج العقول في غمرات
انت ايقظت كامنا من جراحي   بفتور الاهداب والنظرات
بعث الحب في ضلوعي حتى   لم تبرد لهيبه عبراتي
همت اسري على الضفاف وحيدا   وطغت بي على الدجى ذكرياتي
ايقظيني يا صبح نغي على الذكرى   بلحن وجددي ماساتي
نغمة ترقص الفؤاد على الجرح   وتحيي الدفين من اهاتي
ايقظيني ورفرفي في سمائي   طالما نمت هادئا في سباتي
دغدغي لي اوتار قلبي وضجي   بالشهي الفنان من ابياتي
ضمن روحي يا صبح روحي نشيد   جبنته اختناقة الزفرات

جدة   علي ذمر

شيء يصادفه يصبح دراما : الحب ، والتعاطف ، والاسرة والفقر والطبيعة والشر والدين والنعمة (الالهية) .

ومما له دلالته ان باسكال ومورياك يبدوان محاميين يقفان امام الله للدفاع عن قضية الانسان . اما ظلام عالم موریاك فيذكرنا بعالم براوست ، الا ان الاخير لا يجعل من نفسه مدافعا عن الانسان . يعتقد موریاك ان الانسان يحمل في طيات ذاته ما هو اوسع من ذاته . ذلك بان الانسان يمثل رصيدا كبيرا من الميول الموروثة .. وفي نهاية كل من الروايتين نجد البطل المظلم واقفا تسنده شبكة دقيقة من الصلات تعود به الى اسلافه . وهو يمثلهم ويمثل نفسه ، في موقفه امام الله . ولكن روحه لا تخضع خضوعا تاما لله ، والا لانتفى تاثير الشر منها ، ولما عاد للقاص ما يفعله .

بعقوبة ـ العراق   يوسف عبد المسيح ثروة

قصة

ابن القرية

بقلم صموئيل شهيد

كانت خطاه تدب فوق حجارة الطريق الوعر المفضي الى القرية الغافية على خد الجبل ..! وكانما المسافة التي قطعها على قدميه المكدودتين عبر الجبال انهكت قواه ، فاستلقى برهة وجيزة تحت ظل شجرة تين قديمة، وراحت انفاسه اللاهثة تتصاعد من فتحتي انفه كالضباب .

كان محياه اسمر لوحته اشعة الشمس اللاهبة حتى بدا فى لون البرونز ، وراسه الاغبر نحت عليه ازميل الحياة خطوطا بيضاء راحت تحبو بين شعره المجعد لتسمه بميسم السنين ، وظهرت على وجهه غضون عميقة اضفت عليه وشاحا من الكآبة ، والانقباض ..

ورفع الرجل راسه يتطلع الى الغروب الصامت ..

كانت شمس النهار تميل الى المغيب وراء الافق البعيد خلف الجبل ، فالتمعت فى عينيه الفة غريبة ، ثم انطفات ، وتهدلت اجفانه المتعبة فوق عينيه وكانه بذلك يطوي ما طاف براسه فى تلك اللحظة من الخواطر البحيقة ..! وتمطت في عروقه ذكريات باهتة تزاحمت فى مخيلته فجاة بضراوة وعنف ، وكانما اقترابه من قريته التي غاب عنها ذات ليلة تحت جنح الظلام منذ اكثر من ست سنوات قد اثار فى نفسه حنينا عميقا الى الماضي ، وفى كل ما خلفه وراءه ليلقي بنفسه بين احضان المدينة الصاخبة .. وتنهد الرجل بحسرة واسى .. ثم غمغم :

ـ ست سنوات ..!

اجل .. منذ ست سنوات طغت عليه رغبة مجنونة قذفت به الى هوة رهيبة لم يستيقظ منها الا حين وجد نفسه وحيدا يدور فى دوامة مفرغة حطمت حياته ..! واحس آنئذ وهو يفكر بماضيه ان اعصابه ابتدات تتفتت فى جسده المرهق الذي انتابه الاعياء .. وارتعش فى اذنيه صوت خافت كانه آت من وراء الغيوم ، الا انه اخذ يرتفع شيئا ، فشيئا حتى اصبح دويا مزعجا صدع راسه ومزقه .. ومن خلال هذا الضجيج المحموم تبين صوت زوجته وهي تركض خلفه حافية القدمين .. عارية الراس فى دروب القرية المعتمة هاتفة به :

ـ ارجع يا نجيب .. ارجع .. لمن تتركنا يا نجيب .. نجيب .!

الا ان صوتها ضاع فى اعماق العاصفة الهوجاء التي اجتاحت نفسه ، فاصم اذنيه عن النداء ، وانطلق بعيدا عن كوخه الاسود الذي يعج باطفاله ، وتظلله زوجته المعينة ، وكانه يفر من خطر داهم يطارده.. فاجتاز الجبل الى الطريق العام حيث وقف ينتظر مرور سيارة تقله الى المدينة ..

كا نخياله مليئا بالاحلام الاسطورية عن المدينة الكبيرة المرصوفة بالذهب .. والثياب الزاهية التي توشي الفتيات الساحرات ... وراسه الفارغ كان مفعما بالاحاديث المغرية عن ليالي المدينة التي لا تنام الا على انغام الموسيقى : والاجساد الراقصة الملتوية تحت الظلال المبهمة ، فكم مرة حدثه جاره فتحي .. سائق سيارة القرية عن « ليلى » .. الراقصة الشقراء التي تمنح الكثير لقاء قروش ضئيلة ، وكاس خمر .. وهناك « جميلة »... السمراء الفاتنة ، دافئة كاشعة الشمس فى الربيع تدغدغ انفاسها العاطرة وجود من ترضى عنهم ، وما عليه سوى ان يهبها بعض النقود .. فقط بعض النقود الفضية ، فترضى عنه وتعطيه كل ما يرغب فيه .. انهن كثيرات في المدينة لا يحصى عددهن يوفرن للرجل كل ما تشتهيه نفسه من الاهواء .. فكان حين ينصت الى همسات « فتحي » التي تنز بالسم يشعر باعصابه تنز فى بدنه المحموم ، وترتجف اعضاؤه كلما تصور بعين الخيال تلك الحياة الناعمة الدافئة التي تملأ فراغ قلبه وتصب فيعروقه نشاط الشباب وبهجة الدنيا ..!

ويتركه « فتحي » بعد ان يثير خياله المرهف ، ظامئا الى بقية حديثه الذي لم يرتو منه بعد ، فيتراءى له ان فراغا كبيرا امام عينيه يفغر فاه ليبتلعه ويفنيه ، فيعود الى الكوخ يجر خطاه الثقيلة ببطء ووهن ، وينزوي بجوار البور ، وحيدا يرقب الغروب الهادىء ويطن فى اذنيه ازيز الزنبور المختبىء بين اوراق الشجر .. وتظل الكلمات تحوم في صدره كالجرثومة ، تزحف الى كل عرق فتهيجه ..! وتمر فى عينيه التصورات ... قوية واضحة تماما كما وصفها له « فتحي » وكانها شريط حي يستعيده فى ذهنه مرة ثانية ، فتومض فى نظراته ومضة خاطفة مفترسة .. ويتحرك من مكانه الى الكوخ .. آه الكوخ .. الكوخ حيث يستفزه بكاء الاطفال الذين لا يكفون عن العويل .. وانين والدته المتكومة على السرير وكانها تلفظ اخر انفاسها .. ومنظر زوجته الدميمة بثوبها الاسود القذر الذي تجر اذياله وراءها على الارض الملوثة .. كل شيء فى هذا البيت قذر .. قذر ينفر منه ويورثه السام والضجر .! ويتهافت فى ركن مظلم من الكوخ يفكر مهموما ؛ ويسبح فى رؤى غامضة تلح على مخيلته .. وفجاة تدنو منه ، هذه المراة الدميمة، وتحدثه ، فيفيق من الحلم .. ويثور بلا سبب .. يثور لانه يكاد يجن من

هذه القرية .. وهذا الكوخ الـــذي يتمنى لو يتهدم على من فيه فيتحرر من كل ما يربطه بهذه القرية الحقيرة.

في كثير من الاحيان كان ينتظـــر بجوار « الخروبة » العتيقة عنـــد اطراف القرية مجيء « فتحي» حيث يتحي به مكانا قصيا بعيدا عـــن الناس ، ويسترخي فوق العشـــب الاخضر ينفث دخان سيجارتـــه اللف ، فيرنو اليه « فتحي » بخبث ويقول له :

ــ خذ .. خذ سيجارة افرنجي يا نجيب .. دخنها ..

ولكن نجيب يحدق اليه بلهفـــة وقلق .. ثم يسأله بدوره

ــ اه .. تكلم .. ماذا رايت اليوم في المدينة ..

ــ لا شيء .. فالمدينة مقفرة في النهار اكرهها .. حياة المدينة ، الليل الذي يضمك اليه .. اما النهار ، فهو حر قائظ ، وغبار يغشى البصر ..

فيهتف به وكانه يتوسل

ــ ولكن .. قل لي .. هل رايت جميلة .. او ليلى ..!

وتطفو على محيا فتحي ، امارات السرور ويقول :

ــ اه .. ليلى .. لقد رايتها منذ يومين حـــين تاخرت هنـــاك .. وشاهدتها وهي ترقص كالثعبان ، تتحرك كانها خيال يحلق في الفضاء ويتلوى جسدها .. ! ويعض فتحي على شفتيه ويهز راسه كانه يتذوق شيئا لذيذ الطعم .. ثم يلتفت اليه ويساله :

ــ الم تذهب الى المدينة مرة في حياتك ..!

فيجيبه وكانه في غيبوبة :

ــ اجل .. ذهبت اليها مرتين في حياتي ، وعدت في نفس اليوم ..

ويضحك « فتحي » بصوت عـــال حتى يستلقي على قفاه ثم يقول :

ــ يجب ان تزور المدينة يا نجيب وتعيش فيها .. هناك الحيـــاة ..!

ويلقي بعقب سيجارته علـــى الارض ويدعكها بقدمه .. ثم يمضي ..

ويبدا في نفس نجيب الصراع من جديد .. وما ارهبه من صراع تتبعثر فيه مقاومته ، وحياته ، ويتمرد على كل شيء في الوجود الذي جعله ابن قرية .. وفي احدى هذه المرات قطع الرباط الذي يوثقه الى الكوخ ، اذ ثار على زوجته بسبب تافه ، وانهـــال عليها بالضرب المبرح ، وغادر الكوخ.

كان هذا منذ ست سنوات ..

وهدر الصوت في راسه عنيفـــا كامواج البحر .

ــ ارجع يا نجيب .. ارجع .. لن تتركنا يا نجيب .. نجيب ..

كان الصوت نائحا .. معذبـــا يفيض بالياس والقنوط ..

وانحدرت على وجنتيه الدمـــوع كحبات الفضة .. ولم يمسحهـــا .. ومر به قطيع من الماشية عائدا الـــى القرية من الوادي ، فانعقد الغبـــار في الفضاء حتى غطى وجهه ، فاختلج في صدره احساس غريب من الغبطة والسعادة .. وخفقت عن بعد اضواء القرية الشاحبة التي اطل عليها بعد ان نهض من تحت ظـــل الشجرة ، نوقف يشهد المنظر الذي لم تكتحل به عيناه من امد طويل ، فبدا لـــه اجمل بكثير من انوار الكباريهـــات الساطعة التي بهرت انظاره ، فسلبته كل ما يملك من رجولة ، وشبـــاب ، وجعلته عبدا ذليـــلا « لليلى » .. و « جميلة » .. وسواهما .. حتى اصبح محطما ، وحيدا ، يهيم عـــلى وجهه في الشوارع الجامدة حتـــى ساعة متاخرة من الليل ، وتسري في جسده برودة الموت .. لشدة مـــا قست عليه الحياة ..

اما الان .. وتنفس بارتيـــاح ، وطمانينة .. فقد تخلص منهـــا .. وعاد ..

ومشى نجيب ..

مشى الى الكوخ الذي هرب منـــه ذات ليلة مظلمة ..

اربد ــ الاردن صموئيل شهيد



امي ...

في نجوى مع الذكريات ... في (عيد الام) هديـــة الى كـــل ام ...

امي .. وما معناه في سمعي ؟ وما تاويله ؟
اني لانكره ، واجهل ما حوى مدلوله .
واراه يكنفه الغموض فما تبين اصوله .
انا ما نطقت به ولم تعرف لدي سبيله .
ما لي اردده ؟ ولِمَ الان غدوت اقوله ؟
فاعيده لا قصد لي كالببغاء ..
نطقت بما لا تستبين ، له خفاء ؟..

الانني ابصرت من يحلو له ترديده ؟
فتطل من عينيه نشوته غداة يعيده .
واراه يطرب للنشيد اذا احتواه نشيده .
يحيا به ماضي صباه قريبه وبعيده .
وتعوده الذكرى بما يهلو له فتزيـده ...
فانا امرؤ من اجل ذاك القلده ..
وعلى هواه مضيت فيه اردده ؟..

الانهم قالوا : نداء الام الحان السماء .
وحنانها فيض الاهي يجل عن الثناء .
ووفاؤها عند الشدائد ليس يعدله وفاء .
تعطي بلا منٍ عطاء فوق ما عرف السخاء .
وتذود عن ابنائها بالروح ان عرض الفداء ؟
ارايتني آمنت فاستوعبت ذلك ..
وحبست خطوى لم اجاوز ما هنالك ؟ ..

القولهم (لله درك) يبتغون (كرمت اما) ..
رمزا الى الجهد الذي بذلت ولما تدر فهما
اذا ارضعتك وانت ما بين اللفائف شبه اعمى ؟
ايهدفون لبرها الضافي عليك وذاك اسمى
فهو الذي صنعتك منه فهل احطت بذاك علما ؟
العلني ايدت هذا كله ..
فغدوت لا انفك اتبع ظله ؟..

الذلكم رددت امي حينما رددته ؟
الانهم لهجوا به فلذتهم فاعدته ؟
الانني ابصرتهم شغلوا به احببته ..
ورأيته لحنا جميلا رق فاستعذبته ..
ورايتني احيا مع الاشجان حين سمعته ؟..
فاذا انا الساري مع الوهم الجميل ..
لا يستبين متى اضل به السبيل ؟..

ان كان هذا كنه امري فهو اعجب ما رايت ..
اتجشا كالطاعمين مواريا اني طويت ؟..
امقلد سكرى المدام وما شربت وما انتشيت ؟..
اني اذن ابني على متن الرياح اذا بنيت ..
بل انني كالمدعي جني الثمار وما جنيت ..

اغمضت عيني احتوي ظل الخيـال . .
وقبضت كفي والذي فيه المحال ..

امي .. لكم ناديت (امي) . فاستجاب لي الصدى
فتساءل الطفل الغرير . وكنته ذاك الغدا :
لم لا ترد على النداء ؟ اليس يبلغها الندا ؟..
لم لا تجيء ببرها وحنانها تضفي يدا ؟..
وهناك قالت لي دموعي انها خلف الردى ..
هي تلك امي .. لا اقول عرفتها ..
لكنني ابصرتها وسمعتها ..

ابصرتها في كل عين من عيون الامهات .
فاضت بها عبراتها تاسو بنيها من شكاة .
اوكاد ينطقها شفاههمو برضوان الحياة ..
وسمعتها لما سمعت رنين صوت الثاكلات . .
وسمعتها حول المهود من الاغاني الضاحكات .
ونشات لم اسعد بدفء ندائها ..
لم تكتحل عيني بلون ردائها ..

اقبلت في دربي على ظمئي ولا هدف امامي .
واضعت في صحراء هذا العيش ما يطفي اوامي .
والناس ينصرفون من حولي الى شتى المرامي .
لا يحفلون اذا عرضت لهم جراحاتي الدوامي .
لا يسعفون . وان همو فعلوا فغايتهم ملامي ..
وهي التي ظمىء الفؤاد لبرها . .
طويت صحائفها بغامض سرها ..

هي من يبادر بالحنان ولا رجاء ولا لمن .
وتحب في ابنائها حسنا اتوا ام لا حسن .
وتراهمو جملوا . وان امسى يكذبها الزمن .
تحنو ولو نفروا . وتهجر في سبيلهم الوسن .
وتجوع طائعة لتشبعهم ولا تحصي منن ..
هي تلك اثمن ما فقدت من الحياة ..
هي نعمة زينت بها نعم الاله ..

ومضيت يوم عرفت خطبي ابتغي عنها بديلا .
فطلبته في كل متجه عرفت له سبيلا ..
بين الاحبة . بين اهلي .. بين من صنعوا الجميلا .
عند التي اسكنتها قلبي ، وكنت لها حليلا ..
لم الف الا من يقابل بالذي اعطي مثيلا ..
ورايتني في اوبتي صفر اليدين ..
فرجعت من مسعاي في (خفي حنين) ...

عمان

محمد سليم رشدان

حيـاة شـاعر

١

تائه لا إدري اين اسير
احمل فى جنبي قلب كسير
تداعبه اوهامي فيبكي ويقول:
يا رب اين درب الهدى المنير

أتيت الحياة بدون ارادتي
ولا اعلم اين تنتهي رحلتي
ولكن اعلم اني كائن
وعلي أن اؤنس وحدتي
يا رب وهبتني الحياة عليلة
وحرمتني معرفة اسرارها الجليلة
فليتك تأخذ مني هديتك
أو تمنحني حياة كل ايامها جميلة

ردد جميع الناس هذا الدعاء
فاجابهم صوت من جيوب السماء
لايجديكم طول الفكر نفعا
سوى زيادة الضنى والبلاء

فلا تسأل القلب عما غدا
غصة فى الحلق طول المدى
استهواه ابتسام الزمان مخادعا
فصار ينشد الخلاص بالردى

هذا الزمان الخالد عنك راحل
فلماذا ترتبط بعهد زائل ؟
فاشرب كؤوس الخمر مترعة
واسقي الموائل فرحة الهازل
ولاتفن النفس باعمال الشقاء
فلن تريحك من حكم القضاء
واختر لك مهنة ملائمة
تبعث فى حياتك السعادة والهناء
فاعمل بائعا للورد او تأجراً للفراء
ولا باس ان تشارك صانع المدام
واهد بضاعتك للصبايا الجميلة
فان افلست تعيش بالاحلام

او تعلم العزف على ناي نحيل
ورافق صاحبة صوت جميل
يدغدغ احاسيس الليل بالغناء
ويملأ الدنيا شدوا وترتيل

او اتقن دغدغة اوتار الكمان
ودعها ترتل الحان الشجن
فان ابكاك يوما نحيبها
احفظ الآهات وردد اللحن

لا تبيعوا الفن للسخفاء باي ثمن
ولا تبتاعوا الحرير سلفا للكفن
ان الذي فى الكون اوجدك
يكفيك العوز وشر المحن

هكذا بنيت حياتي على الرمال
فضيعت عمري باحلام الخيال
وأذنبت بحق السماء جاهلا
ان الحياة بعيدة عن الكمال
اذنبت يا رب فاستحققت الجزاء
واعلم اني لا استحق منك العزاء
فاذا كنت بالعذاب علي قاضيا
فساقضي بقية ايامي غناء

صوت القضاء يحاكم البشر
والناس فى دروب الحياة تتعثر
تخضعنا الظروف لكل امر
كاننا لعب يصنعها القدر

ضل طريق الحياة بطل همام
وبلغ الاعمى غايته فى الظلام
كما ابدع الانغام موسيقي اصم
واوجد الشاعر حقيقة فى الاوهام

هذا القضاء وذاك القدر
فرضا علي هذا العمر
فلم اجد فيه سوى المرار
فلماذا لا اضحك منه واسخر ؟

لا تشك يا صاحبي قسوة الايام
فلن يجديك نفعا طول الملام
وعش كما قدر لك الزمان
فان ظلم لا تنفع عدالة الحكام

الدمع يا دهر قاس على العيون
فلماذا ابكي واقرع الجفون
فلماذا ابكي واقرح الجفون
فلا يعيد البكاء ميتا
ولا ينقذ الدمع من الشجون

لا باس سابكي اذا أثارني الخيال
او اضحت ثانية لا ابحث عن الجمال
واصبح كاسي من الخمر خاليا
وحياتي جامدة بدون آمال

الحياة كاس اللذة والالم
ونهايتك لا شك فيها الى العدم
فلماذا لا تروي هذا الظما
وتشرب اللذة بلا ندم

شربت خمرا اثار بي الهوى
وسمعت لحنا فاشتد بي الجوى
فهات يا ساقي واملا هذا القدح
واسمع فؤادي كل ما هوى

فليس العمر يدوم لنا
وايامه لا بد انت مضيما
فلا تختر غير اللذة مذهبا
ولا غير الخمر دواء انجعا

ودع العود يغني بانشراح
كلما اتى ليل ولاح صباح
واملا بالخمر المعتق هذا القدح
وادع حبيبك الى حضنك يترنح

حبيبي ما اجملك وانت تميل
وقد دارت الراح براسك الجميل
فقرب شفاهك من فمي العليل
واسقني ماء الحياة كالسلسبيل

دارت الراح فى هذا المهد
واصبحت حلالا مداعبة النهد
فضمني يا حبيبي بين احضانك
ولا توقظني حتى صباح الغد

ودع الحياة تسير كالحلم
فالجفا صعب والقسوة ظلم
وتعال معي الى بلاد بعيدة
لننعم بتقبيل النهد والفم

كلما قلت بعد عني وجفا
عاد الي معتذراً بدموع الوفا
فاعود البله بوجد وجوى
واقول حبيبي انصفني بعد النوى

يا حبيبي هذه الدنيا فيها شقاء
وهذا حكم انزلته السماء
فتعال نعش كما نشاء
ونقضي ايامنا فى طلق الهواء

فهات يدك يا حبيبي لنسهر
ونهوى الجمال وخمره نسكر
نطرح مر الدنيا عنا بعيدا
قبل ان يطوى الموت هذا العمر

ولتكمل الروح رحلتها فى السماء
ويتبعها الجسد الى عالم الفناء
فاروِ غليل نفسك بالخمر والغناء
ولا تدع النفس تغادرك بجفاء

حماه ـ محرده — محفوظ ايوب

ولــــدي

ولدي يا قطعة من كبدي
من ضلوعي من حنايا جسدي
من عروقي . من عصارات دمائي .
من بكائي . وابتهالي . ورجائي .

انت حلمي عندما كنت مع الاطفال ، طفلة
وعلى كتفي تغفو دمية .
لها مني كل يوم ، الف قبلة
كنت القاك بروحي وباحلامي البريئة .
باسما ترنو اليا
في دلال
وبعينيك معان ومعان
لم اكن افقه منها بعد شيا .

انت حبي .
واذا ما الحب ناداني ، ولبيت نداه
انت الهمت فؤادي فتمادى في هواه
ما عرفت الحب لولاك . ولا مر ببالي .
او خيالي .
كنت في خفقات قلبي
وبآمالي الجميلة .
كنت في روعة حبي
غاية الحب النبيلة
ان يكن للحب معنى فهو انت .
انت معنى الحب . انت الحل في لغز الحياه

يا حبيبي . عندما كنت باحشائي جنينا
ما عرفت النوم شوقا وحنينا
كل احساسي غدا ، وقفا عليك
وشعوري بات مشدودا اليك
وحياتي في يديك .
كنت في شدة اعيائي سعيدة
اتمنى خلوة في مخدعي
لاناجيك على مهل وحيدة .
كلما ملت يمينا ، او شمالا
في حنايا اضلعي .
طالما انت معي .
زدت احلامي اختيالا وجمالا ..

يا بني .. او لم تسمع بآلام الولادة
عندما تقذف احشاء ولد
انها كالموت عنفا . او اشد
كل ما بي من عروق تتمزق
كل ما بي من دماء تتدفق .
انلوى كتلوي الافعوان
كلما اشتد باحشائي المخاض .
واذوق الموت فيه ، الف مرة .

في عذابي ، وانفعالي
وجهك الوضاح ، لم يبرح خيالي .
كنت ابكي ، فاذا مر ببالي
طيفك المعبود ، اضحك
ثم اخفي ناظريا في يديا .
ريثما احلم في بسمات ثغرك
كل ما بي مّن عناء والم
يتلاشى عندما ابصر وجهك
وارى قربك الامي سعادة وعبادة .

يا حبيبي . لا تسلني ، كيف ربيتك طفلا
في اعاصير الحياة .
والليالي الحالكات .
كيف ارضعتك من ثديي زمانا .
كيف غذيتك حبا وحنانا
كم سهرت الليل فوق المهد ، ارعاك طويلا
واناغيك جميلا .
كنت اخشى من نسيم الصبح ان هب عليك
واخاف الياسمين الغض ان يدمي يديك
عندما تبكي ارى الدنيا وما فيها بكاء
وابتساماتك في عيني نور ورجاء

او تنسى .... عندما كنت مريضا
وانا وحدي . لقد كنت المريضة .
وحياتي كلها كانت بغيضة
اسهر الليل على دقات قلبك
استقي فيها من الياس رجائي
واذا ما نفد الصبر وولى
لذت فورا بالبكاء والدعاء
ثم استغفر ربي في ضميري
فلعلي مذنبه .
ان اكن حقا . فما ذنب صغيري
لم اجثو ، تحت اقدامك ابكي تائبه .
مثلما تجثو بكرسي الاعتراف الراهبه

يا حبيبي انت في مجرى حياتي كل شيء
كالهواء الطلق ، والماء الرطيب
انت لي اغلى حبيب .
ان تسل ، عن كنه حبي
فهو لا يعرف غاية .
لا ولا يدري نهاية .
هو كالايمان ، او ارسخ عمقا .
خالدا .. انقى من الشمس وابقى .

صــور زهــرة الحــر

البولونيز رقم ٣

تمثيلية قصيرة

بقلم جورج سالم

من الاصدقاء

•

المشهد الاول

« مساء يوم من ايام الصيف ، في احد شوارع المدينة »

يوسف : مرحبا يا غسان .
غسان : اهلا ، كيف حالك يا يوسف؟
يوسف : شكرا ، وانت كيف حالك ؟
غسان : الحمد لله .
يوسف : اراك مسرعا ، الى اين انت ذاهب ؟
غسان : الى عرس صديقي رئيف .
يوسف : ان مظهرك ليدل على ذلك احسن دلالة . هذا الثوب الجميل وهذه الاناقة كلها .
غسان : انها فرحة اعز اصدقائي ، ويجب ان اشاركه فرحة هذا اليوم .
يوسف : حتما .
غسان : سياتي دورك عما قريب ، اليس كذلك ؟
يوسف : ودورك انت ايضا .
غسان : آه ، انت تعلم انني لا استطيع ان اتزوج الان ، بسبب اسرتي واخوتي الصغار ...
يوسف : نعم . نعم . ولكن سياتي يوم تنفرج فيه الحال .
غسان : لا شك . وانت اليس في نيتك ان تتزوج ؟
يوسف : الحقيقة ، انني لم افكر في ذلك حتى الان .
غسان : اما صديقنا رئيف ، فقد انهى دروسه وانتهى من خدمة العلم ، وها هوذا يبدأ حياةجديدة
يوسف : وماذا يعمل رئيف الان ؟
غسان : انه يدرس مادة الرسم في احدى الثانويات .
يوسف : بلغني منذ مدة انه سافر ليتابع دراسته .
غسان : لقد سافر فعلا الى ايطاليا ليدرس الرسم ، وعاد وهو يحمل اعلى الشهادات ، ان له ذوقا جميلا وريشة ساحرة .
يوسف : لقد حدثني رفاقه عنه غير مرة ، فقالوا انه شاب لطيف يدمن على المطالعة والرسم
غسان : وعلى الاستماع الى الموسيقى
يوسف : نعم ، نعم .
غسان : ولهذا السبب فقد اخترت له مجموعة من الاسطوانات هدية متواضعة في هذه المناسبة .
يوسف : اذا كان مولعا بالموسيقى ، فسيسر بها من غير شك ، انها هدية جميلة .
غسان : لقد اخترت له مقطوعات من شوبان ، مجموعة البولونيز والفلسات ، وكونشرتو البيان ،
يوسف : (ضاحكا) ارجوك الا تهديني مثل هذه الهدية يوم زواجي .
غسان : لا عليك . فساجد لك هدية تسرك .
يوسف : آمل ان تكون زوج رئيف على شاكلته .
غسان : انها فتاة ممتازة ذات ثقافة جيدة وذوق رفيع ، وهي تجيد العزف على البيان .
يوسف : ان ذلك كله يجعل تفاهمهما ميسورا .
غسان : لا شك . هل لك ان تمضي معي ، فقد اقتربنا من المنزل ، وها هوذا ابو رئيف آت من الشارع المواجه لنا .
يوسف : شكرا ، فان لي بعض الاعمال هنا . استودعك الله .
غسان : الى اللقاء .

المشهد الثاني

« قرب بيت رئيف .. »

الاب : (من بعيد) : اهلا اهلا بغسان
غسان : كيف حالك يا عم . اهنئك بهذا اليوم وآمل ان تتمتع باحفادك
الاب : شكرا ، وارجو ان نفرح بك غدا .
غسان : كيف حال رئيف ؟
الاب : انه اليوم في عيد !
غسان : جعل الله ايامه كلها اعياد !
الاب : تفضل .
غسان : سندخل معا .
الاب : ارى ان هذا الشرطي يبحث عن بيت ، خيرا ان شاء الله .
الشرطي : (يقترب منهما) : هل تعرفان منزل السيد رئيف ؟..
الاب : نعم ، ولماذا ؟
الشرطي : اين هو ؟
الاب : هنا ، وماذا في الامر ؟
الشرطي : اريد ان اراه لاسلمه هذا التبليغ .
غسان : وما موضوعه ؟
الشرطي : قضية تتعلق بالجندية .
الاب : ولكنه انهى خدمته منذ مدة .
الشرطي : انها دعوة جديدة .
الاب : الا نستطيع تاجيلها الى وقت آخر ؟
الشرطي : يجب ان يبلغ الان .
الاب : ما رايك يا غسان ؟
غسان (للشرطي) : هل نستطيع ان نطلع على مضمونها ؟
الشرطي (يفتح حقيبته) : انها دعوة عاجلة للالتحاق بقطعته .
الاب : يا الهي ، ومتى ؟
الشرطي (ببساطة) : انظر ، خلال ثمان واربعين ساعة
غسان : خلال ثمان واربعين ساعة ، يا للمصادفة الغريبة !
الشرطي : ولم هذا الاستغراب ؟
غسان : هذا يوم عرسه !
الشرطي : آه ، فهمت !
الاب : ما رايك يا غسان ؟
غسان : الراي عندي ان تاخذها انت الان ، وتسلمه اياها غدا .

الاب : هل من مانع فى ذلك يا اخي ؟

الشرطي (بعد فترة تفكير) : يجب ان يلتحق بقطعته فى الموعد المذكور ، والا تعرض للعقوبات المعروفة .

الاب : سابلغه ذلك غدا حتما .

الشرطي : لا باس ، ولكن حذار ..

(يسلمه الورقة ويوقع له الاب فى سجله)

الاب : شكرا لك يا اخ ، فنحن لا نريد ان ننغص عليه بهجة هذا اليوم الذي طالما انتظره .

غسان : يجب الا يعلم احد بهذا ..

الاب : اجل ، وحذار ان تنبس بكلمة

غسان : وانت لا تدع للكآبة سبيلا الى الظهور على وجهك . تجلد واظهر بمظهر السرور .

الاب : (للشرطي) هلم معنا لتشاركنا افراحنا !

الشرطي : شكرا ، ان علي تبليغ عدد كبير من رفاقه ضباط الاحتياط

الاب : تفضل يا غسان .

غسان : من حسن الحظ اننا رايناه قبل ان يصل الى الباب .

الاب : اسال الله ان يساعدني غدا .

المشهد الثالث

(اليوم الثاني صباحا ، فى غرفة رئيف)

رئيف : هذا هو اليوم الذي انتظرته منذ عام .

سلمى : لقد حقق الله امالنا اخيرا .

رئيف : انني اشعر بفرح لم اشعر به طوال حياتي ، احس بالنشوة تجتاح كل كياني .

سلمى : وانا اشعر بانني غدوت قادرة على الطيران مع كل نسمة تهب علينا فى هذا الربيع الجميل

رئيف : سلمى ، هلمي نر هذه الهدية التي احضرها لنا صديقنا غسان.

سلمى : هيا .

رئيف : (ينزع الاوراق عن مجموعة الاسطوانات) : آه ! اسطوانات ، هذه اجمل هدية تهدى لنا .

سلمى : حقا ، لمن هذه المقطوعات ؟

رئيف : لشوبان !

سلمى : يظهر انه يعرف عظيم محبتك لشوبان .

رئيف : نعم ، ولكل من يحب شوبان هل تذكرين هذه القطعة ؟

سلمى : (تقرا) البولونيز رقم ٢ ؟

رئيف : هل تذكرتها جيدا ؟..

سلمى : كيف لا اتذكرها ..

رئيف : لقد عزفتها لي يوم لقائنا الاول. كنت اتابع حركات اصابعك على البيان وانا ماخوذ بجمال العزف وجمال العازفة .

سلمى : لقد احسن غسان باختيارها لك ، فلها فى نفسنا تاريخ بعيد . ما رايك ان نسمع هذه المقطوعة الان ؟

رئيف : لا باس ، ولكن فى هذه المقطوعة كثيرا من الحزن والالم والحنين ، حبذا لو استمعنا الى قطعة اخرى انني اشعر بانقباض اذ اذكر هذا اللحن ولست ادري سر ذلك .

سلمى : ولكن حبنا وذكرياتنا ستخلع عليها طابعا جديدا .

رئيف : إذن فلنسمعها .

(تضع المقطوعة ويجلسان ليستمعا اليها) بعد دقائق قليلة طرق على الباب

رئيف : من عسى يكون ؟

(يمضي ليفتح الباب)

رئيف : ابي ، اهلا وسهلا .

الاب : كيف حالك يا رئيف ، وكيف حال سلمى ؟

رئيف : بخير ، وانتم كيف حالكم

الاب : الحمد لله على كل حال .

رئيف : ما لي اراك مقطب الجبين ؟

الاب : اريد ان احدثك قليلا على انفراد .

رئيف : كما تشاء يا ابي .

(يخرجان)

رئيف : خير ان شاء الله . ما القضية ؟

الاب : تشدد يا بني . وكن رابط الجاش .

رئيف : ولكن ماذا هناك ؟

الاب : (يقدم له الورقة فيقرؤها)

رئيف : آه ! فهمت ولكن ..

الاب : لا مجال للكلام . يجب ان تهيىء نفسك وتمضي فى هذا اليوم ذاته .

رئيف : يا الهي ، الم يكن بالمستطاع تاجيل ذلك الى فترة ؟!

الاب : ان الوطن فى خطر ، وان واجبك ينبغي ان يسمو على عواطفك . ودع زوجتك ، واحزم امتعتك ، يجب ان تلتحق بقطعتك سريعا . ونحن سنسهر على زوجتك اثناء غيابك . مر علينا قبيل سفرك لتودع اخوتك . اليس كذلك ؟

رئيف : نعم يا ابي .

رئيف (وحده) : ما معنى ان يترك الانسان حبه ، وهو لا يعرف كيف يكون مصيره . هل يكتب لي ان اعود الى بيتي وزوجتي ، ام ان هذا هو الفراق الاخير بعد هذه الومضة الصغيرة من السعادة . يا الهي ، كيف ساحمل اليها هذا النبا . ان انغام البولونيز لفي دم كل انسان ، اصدحي ايتها الانغام اصدحي !!

(يعود الى الغرفة فيجد ان البولونيز لا تزال تعزف)

رئيف : (يقف دون ان يتكلم)

سلمى : ما بالك تقف هكذا يا رئيف ؟ ما دهاك ؟!

رئيف : البولونيز ! البولونيز !

سلمى : وما بها ؟

رئيف : الحرب ، دائما الحرب . الوطن المهدد ، والخطر المحدق ، متى يرفع الناس شرهم عن الناس ويدعونهم يحيون حياتهم الجميلة الرائعة ؟!

سلمى : لم افهم ما تقصد

رئيف : لقد دعيت للالتحاق بقطعتي، فالحرب على الابواب .

سلمى : غير معقول .

رئيف : كل شيء غير معقول .

سلمى : نعم لا شيء فى الدنيا معقول، اللامعقول هو ناموس الحياة ، ان الحياة تنوء علينا بثقلها ونحن لا نستطيع من اسرها فكاكا . الحرب ، والموت من ورائها .

رئيف : سلمى ! اننا نسير وكان هناك قوة اعلى منا تسيرنا ، لا

نعرفها ولا ندرك كنهها ، ومع ذلك يجب ان نخضع لها .

سلمى : ولكن كيف .. كيف تذهب؟

رئيف : كما سيذهب كل رفاقي .

سلمى : وهل تذهب انت ؟!

رئيف : وهل في ذلك شك .

سلمى (تحدق فيه لحظة) لا .. (ثم تنفجر باكية) أوتتركني هكذا .

رئيف : كما سيترك الناس اهلهم ومزارعهم ومعاملهم وبيوتهم . لقد دق النفير . واذا دق النفير فسلام على كل شيء عذب في الحياة ..

سلمى (تنفجر باكية) ..

رئيف (لنفسه) هاهي تداستسلمت ما دامت تبكي . (يضمها بين ذراعيه) لا تبكي يا سلمى . نحن نحارب لاننا نريد ان يعيش اولادنا حياة اسعد من حياتنا . سنفرش لهم الدرب ، وسنعبد لهم الطريق ..

سلمى (تحدق فيه) : وهل تظن ذلك ؟ الم يحارب اجدادك من قبل ؛ فهل رايت دروبك ممهدة ، وهل استطعت ان تتفرغ لعملك ولوحاتك واهلك ؟

رئيف : يجب ان نامل مع ذلك .

سلمى : اشعر كان قطعة من جسمي تنفصل عني ؛ يا الهي اليس في المستطاع ان تبعد عنا هذه الكاس

رئيف : ان الفراق مر اليم ، ساحن اليك كثيرا . وسارى خيالك انى اتجهت .

سلمى : وانا سيلتهمني الشوق في هذا الفراغ الذي تركتني فيه وحيدة . ساشعر بكل دقيقة ، بل بكل ثانية تمر بي وانت بعيد عني .

(تبكي)

سلمى : (كمن عاد الى وعيه) : ولكن متى ستعود ؟

رئيف : لا ادري . ولكنني اؤمن بالعودة لانني اعلم انك ستكونين هنا تنتظرينني . وهذا ما يسهل علي المضي .

سلمى : اوهكذا تتركني وحدي ؟

رئيف : لقد تركت لك الامل .

سلمى : ان الامل بارد كالجليد ، ومع ذلك فساحيا عليه .

رئيف : حذار ان يتسرب الياس الى قلبك ، ساعود وستعمر السعادة عشنا هذا الجميل .

(تنبعث انغام البولونيز بقوة وعنف) .

حلب — جورج سالم
